وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر- بسكرة -

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

صورة الشخصية الفرنسية في شعر مفدي زكرياء

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

البار منيرة

إشراف الدكتورة:

- معاش حياة

الرقم	الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
01	عبد الرحمن تبرمسين	دكتور	رئيسا
02	حياة معاش	دكتورة	مشرفا
03	هنية جوادي	دكتورة	مناقشا

السنة الجامعية 1438/1437هـ

2017/2016م

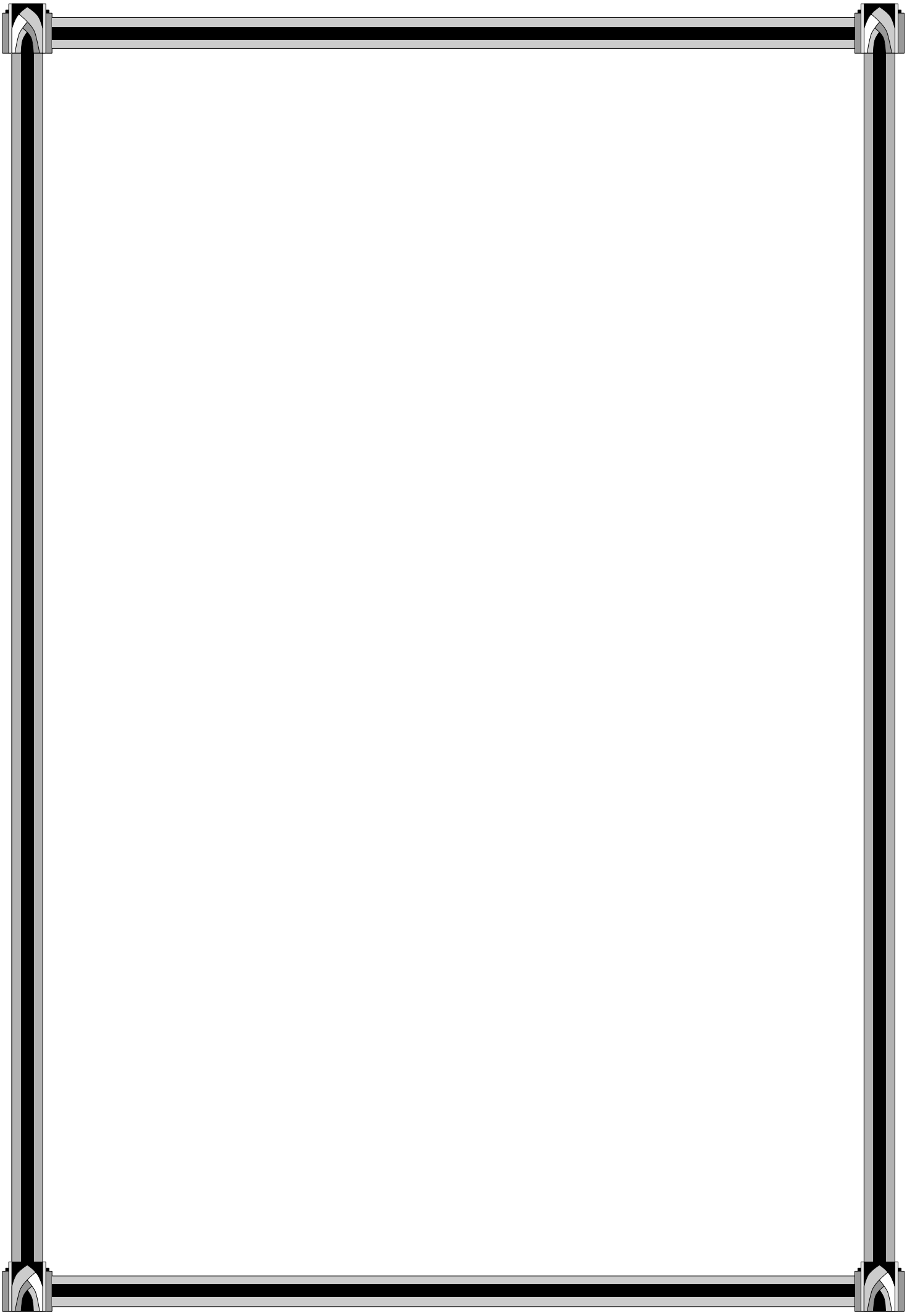

الشكر والعرفان

الشكر لله عز وجل الذي تم هذا العمل على بركته، وإذا كان من كمال الفضل شكر ذويه، فإني أرفع أخلص عبارات الشكر والتقدير للأستاذة الفاضلة الدكتورة " معاش حياة"، على كلّ ما بذلته من جهد في إثراء هذا البحث وسعة صبرها.

كما أتقدم بكامل التقدير والامتنان إلى الشمعة التي نورت دربي بدعواتها "أمي الغالية"

وإلى الذي علمني معنى الكفاح والمثابرة "أبي الغالي"

وأصدق عبارات الشكر والامتنان أتقدم بها إلى سندي في هذه الحياة زوجي الغالي "جمال الدين"

إلى إخوتي الأحباء خاصة "سهيلة و فاطمة الزهراء" اللتان أعطوا معنى للحياة

إلى فرحتي في هذه الدنيا و سر سعادتي ابنتي حورية "

والشكر والتقدير والاحترام لكل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد ، سعيا منه في إنجاح هذا العمل .

والله ولي التوفيق

مقـــدمـــة

شهدت الجزائر في مسارها التاريخي فترة متأزمة تمثلت في الاستعمار الفرنسي، والذي جاء بنية إبادة الشعب الجزائري لغة ودينا ووطنا؛ لقد تعمد الاستعمار الفرنسي تشويه الشخصية الجزائرية معتمداً على التجهيل وقتل الذاكرة التاريخية و الحضارة، محاولاً في ذلك طمس الهوية الوطنية، فالاستعمار أيامه سود ولياليه طوال في تاريخ الجزائر؛ حيث كان صدمة قوية وعنيفة هزت نفوس الشعب، لكنه كان في كل فرصة تتاح له يتصدى للاستعمار الفرنسي كلاًّ بحسب وسائله، سواء سلاح، بالقوة ، والصمود، أو الكلمة، فهذه الأخيرة التي أرخت كل وقائعه الأليمة .

إذ ما عدنا إلى التاريخ نستنطقه في ظل ذاكرة شعرية تروي لنا رؤية الشاعر لسيرة الفرنسيين المتوحشين الذين أثاروا الظلم والطغيان، فحشدوا لذلك كل وسيلة همجية ممكنة لإرهاب الشعوب ، وجبرهم على الموت و الاندثار أو الاندماج في وطن فرنسي صليبي وفق لقانون الأبوية الذي اتسم به الاستعمار الفرنسي الحديث، فكل هذه الأسباب جاء الشعر صورة صادقة ومنعكسة للآلام والمعاناة التي مست الشعوب، وفي ظل هذه الوحشية جاءت صورة المستعمر الفرنسي في الشعر، والتي تقتصر دراستنا على إيضاح و إبراز هذه الصور عند "مفدي زكريا" ، والذي يعد شاعر الثورة الجزائرية بكل أبعادها.

ومن الأسباب و الدوافع للخوض في هذا الموضوع أسباب ذاتية وموضوعية، ذاتية: رغبتي في البحث وشغفي بشعر الشاعر فهو شاعر الثورة الجزائرية، أما الموضوعية : إبراز صورة المستعمر ووحشيته وكيف تجسدت في شعر "مفدي زكريا" باعتبار شعره يمثل سجل لأحداث التاريخية التي مرت على المجتمع الجزائري، وكذلك قلة الدراسات التي تناولت هذا الجانب من الموضوع ، وتقوية خبرتنا في ميدان الشعر، هادفين من خلال هذا الموضوع إلى إذكاء الذاكرة الجماعية لجيل الاستقلال بمدى فظاعة الاستعمار الذي لا يختلف مهما كان جنسه أو زمنه، فهو أولا و أخيرا يهدف إلى الاستغلال بشتى الطرق، وخاصة عند ما رأينا ذاكرة أبنائنا تتجه نحو عالم المعرفة الذي بدأ يتنازل عن خصوصيات تاريخية حديثة تشكلت فيها مسيرة الآباء و الأجداد.

وتندرج ضمن هذا التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها في هذه الدراسة لعل أهمها :

كيف تجلت صورة الشخصية الفرنسية في شعر مفدي زكريا ؟

كما تندرج تحته مجموعة من التساؤلات الفرعية:

ما هي الآثار النفسية و الاجتماعية التي سجلتها هذه النصوص الشعرية ؟ وماهي المؤثرات التي ساهمت في بناء وتشكيل الصورة للمستعمر الفرنسي عند مفدي زكريا ؟

ومنه قد اعتمدنا في دراستنا هاته على الخطة تتكون من مقدمة و تمهيد وفصلين وملحق، خصصنا الفصل الأول لتجليات صورة الشخصية الفرنسية في شعر "مفدي زكريا"، والتي يندرج ضمنها أولا الصورة الحسية، وثانيا الصورة المعنوية، ثم ثالثا الصورة الدينية، بالإضافة إلى شرح النصوص الشعرية التي تطرقنا إليها في كل عنصر.

أما الفصل الثاني فخصصناه للخصائص الفنية لشعر "مفدي زكريا" ، والذي تضمن اللغة الشعرية ، ثم الموسيقى والتي تفرعت عنها الموسيقى الخارجية، و الموسيقى الداخلية، وتكلمنا عن الصورة الشعرية والتي تطرقنا إلى التشبيه التمثيلي، والاستعارة المكنية، والطبيعة، والقرآن الكريم، و أخيرا التناص وفيه التناص الديني، والتناص مع الشعر العربي القديم، والتناص التاريخي، واخيرا التناص مع الشعراء الجزائريين، وختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، ثم الملحق .

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي للظاهرة و إبراز الصور، و استعنا بالمنهج التاريخي لتتبع الأحداث التاريخية، و الفني لدراسة جماليات نصوص "مفدي زكريا"

كما اعتمدنا على عدة مراجع ذات أهمية بالنسبة لموضوع بحثنا ، لكن أهم ما يمكن ذكره هو "عبد المالك مرتاض" وكتابه "أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 " أيضا كتاب "حواس بري " " شعر مفدي زكريا –دراسة وتقويم -" ، وكتاب " حسن فتح الباب " " مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية " ، وكتاب " بلقاسم بن عبدالله " " مفدي شاعر مجد الثورة " ، وأيضا " محمد ناصر " وكتابه " مفدي زكريا شاعر نضال الثورة ".

وقد جابهتنا مجموعة من الصعوبات في مشوار دراستنا هذه ، لعل أهمها و أولها قلة الدراسات حول الموضوع ، وخاصة الدراسات الأكاديمية ، وعدم وجود مراجع تطرقت إلى هذا الجانب من الموضوع ، أيضا من الصعوبات التي واجهتها دراستنا عدم حصولنا على أطروحة جامعية مهمة وهي " شعر الثورة عند مفدي زكريا –دراسة فنية تحليلية – " لصاحبها " يحى الشيخ صالح " ، والتي كانت قد تفتح لنا في الدراسة آفاقا أخرى ذات أهمية كبيرة في دراستنا، ولكن رغم ذلك حاولنا جاهدا الاعتماد على أنفسنا .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة التي تحملت الكثير، وفي ختام هذا نشكر الله ونحمده .

تمهيـــــــــد

الشعر الثوري عند مفدي زكريا

إن ثورة السلاح، لابد أن تسبقها ثورة فكرية أو أدبية لتهدئ النفوس و تبث الهمم في الشعوب و تشحن القلوب الثائرة لتنسى ثوب الذلة و الهوان، فالأدب يثور قبل أن يثور السلاح.

ستبقى الثورة الجزائرية أو " حرب التحرير" هي الفترة الحاسمة في التاريخ المعاصر للجزائر الحديثة. وهي تمثل بصدق مأساة الجزائر و عظمتها في وقت واحد و قد كتبت هذه المرحلة بدماء الشهداء و تضحيات المجاهدين[1]. و لم ترتبط الثورة الجزائرية بأي أديب جزائري مثل ما ارتبطت بالشاعر « مفدي زكريا » فهو الذي كان له شرف التحلي بقلب شاعر "الثورة الجزائرية " ولكن ذلك كان جديرا، كما كان أحد أسبق الشعراء الجزائريين إلى الصدع بالكلمة النورانية التي يلاص بها إزاحة الظلام، و تبديد الاضطهاد، و إيقاف الشعب الجزائري و حمله على المضي للثوران على المحتلين مهما تكن التضحيات [2].

كما لا يخفى على أي قارئ لأشعار "مفدي زكريا" أن يلاحظ ظاهرة فريدة مميزة لإشعاره ألا و هي ظاهرة " الثورة و التحمس لها "[3]، و لقد شاءت الظروف التاريخية التي عاشها الشاعر مناضلا منذ شبابه المبكر في الحركة الوطنية أن لا يتحدث عن الثورة الجزائرية عن بعد (كما فعل بعض الشعراء الجزائريين الأخرين الذين لم يتح لهم ذلك) أو يصف أحداثها المهولة من الخارج، أو يتخيل جريانها دونما معايشتها بالتجربة و الممارسة، و لكن قدر له بحكم رسوخ قدمه في النضال منذ الأعوام الثلاثين من القرن العشرين حين كان يناضل في حزب الشعب الجزائري و حيث تعرض للسجن من أجل نضاله بالكلمة، قدر للشاعر أن يصف الثورة الجزائرية من موقع المناضل الممارس، فالسجين المجـرب و الوطنـي المتابـع، و المثقف و المطالع أيضـا على مسار الحرب

(1) مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 39 .

(2) عبد المالك مرتاض، أدب المقاولة الوطنية في الجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، الجزء الأول ، 2009، ص 427 .

(3) محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكريا، نوميديا للطباعة و النشر، الجزائر، 2012 ، ص 13 .

الوطنية و تطور أحداثها و تضحيات رجالاتها، وما ألحق بهم الاستعمار الفرنسي الضاري من الأهوال الهائلة.[1]

إن شعر "مفدي زكريا" يتميز بإخلاصه لوطنيته و لثورة أول نوفمبر 1954 م، و أن صوته الشعري بحق ترديف الرصاصة و المحراث، يذكرك كلما قرأت نصوصه بالبطولات و الفداء و الشجاعة و الأمل و الاحتكام إلى كفاح الشعوب و قوة عزيمتها و استمرار نشاطها النضالي لتحقيق الانتصار و زهق الباطل، [2] و ظل يتغنى بالجزائر من حيث هي وطن عظيم، و للثورة من حيث هي التاريخ وطني منعدم التنظير، و للشهداء الذين كانوا يخرون في ساح الشرف من حيث إنهم ضحوا بأنفسهم في سبيل رفعة الوطن و سؤدده [3].

فقد كان لسان حال بلاده منذ بدأ يدب الشعور القومي و الوطني في شعبها المكلوم، حيث أخذ يوعيه بحقيقة تاريخه وواقع وجوده، ويبث فيه من نفح البطولات و الأمجاد تموجات تهز إحساسه بالذات و الكرامة، وتحثه على التطلع لإستشراق المستقبل واسترداد الأمل، و من ثم للتمرد و التوثب لاسترجاع الحق السليب. و هو مرهص الثورة و منمي مخاضها و مفجر انطلاقاتها، لم يكن ليفاجئ بها عند اندلاعها، كما لم يكن يحاول استجماع قواه حتى يسايرها كما فعل الكثيرون، و لكنه كان في طليعتها يتبادل مع المجاهدين شحنات التعبئة في تجاوب بوقع الكلمة الصادقة الملغمة و بإيقاع السلاح الصاخب المدوي في قمم الجبال، و كان بذلك مستعدا لينعطف بشعره في خط سير متطلع رائد ليعطي الثورة أبعادا تاريخية يرتبط بها مصير شعب يولد من جديد [4].

(1) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاولة الوطنية في الجزائر 1830-1962، مرجع سابق ، ص 428 .

(2) بلقاسم بن عبد الله ، مفدي زكريا شاعر مجد الثورة ، دار الأوطان ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ص 271 .

(3) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاولة الوطنية في الجزائر 1830-1962، مرجع سابق ، ص 428 .

(4) أحمد قسطاس ، مجلة دعوة الحق ، مطبعة الأمنية ، ع 404 ، المغرب ، 2013 م ، ص 10 .

تمثل شعرية مفدي زكريا في مجملها " ديوان الثورة الجزائرية "، بواقعها الصريح و بطولاتها الأسطورية و أحداثها الصارخة لم ينشغل فيها بالفن و الصناعة قدر انشغاله و عنايته بالتعبئة الثورية، و تصوير وجه الجزائر الحقيقي بمقابل وجه فرنسا الاستعمارية الغاشمة، هذا الشاعر الذي تعيش الجزائر و ثورتها في كل قصيدة من قصائده يحس في قرارة نفسه أنه وشعبه مظلومان، و لما اندلعت الثورة المباركة ارتمى في أحضانهما، فأنشأ النشيد الوطني الرسمي " قسما " [1]، حيث يعتبر رائد الشعر الأناشيد الوطنية بلا منازع و هذا لما حملته دواوينه من أناشيد وطنية خدمة الثورة و الثوار و الجماهير الجزائرية ككل، و له في الأناشيد ميزة خاصة، و دور بارز منفرد، لهذا قال عنه محمد عبد الغني حسن " لو كنت من الذين يضعون الألفاظ أو يضيفونها لأضفيت على " مفدي زكريا " شاعر الأناشيد " لكثرة ما وضع من أناشيد رسمية في المناسبات المختلفة ... " ، و قال عبد الله الركيبي أن رائد هذا اللون من الشعر – شعر الأناشيد- هو بلا منازع مفدي زكريا .[2] وقد كانت له الكثير من الشعر – شعر الأناشيد الوطنية الحماسية ، منها ما هو موجه للوطن الثورة مثل نشيد بربروس سنة 1956 م، ونشيد أنا ثائر سنة 1959 م.... ونشيد الشهداء ونشيد جيش التحرير .[3] حيث يحض على الثورة ويدعو لها غير قانع بالعمل السياسي ولعل نشيد "من جبالنا" خير برهان على ذلك فقد وضعه سنة 1932 م وظل أبناء المغرب العربي يتداولونه خلال سنوات الكفاح الطويلة، ومثله النشيد القومي الذي نظمه في السجن عام 1937 م وكانت جبهة التحرير قد أصدرت الأمر سنة 1956 م إلى المحكوم عليهم بالإعلام أن يرددوه قبل الصعود إلى المقصلة باعتباره النشيد الرسمي للشهداء، وهو الذي أوله:

---

(1) بعلي حنفاوي ، صورة فرنسا الاستعمار في إلياذة الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع 3، 2005م ، ص 5 .

(2) زليخة يحياوي ، نشيد السجن الثورة عند مفدي زكريا ، ملتقى الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة ، مخبر الدراسات اللغوية في الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر ، ماي 2013م ، ص 7.

(3) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي مرحلة الثورة 1954 ، 1962 ، منشورات المركز الوطني ، ص 501، 502.

اعصرفي يا ريح واعصرفي يا رعود[1] "

كما نجد له ثلاثة دواوين هي : (اللهب المقدس) سنة 1961 م، و(تحت ظلال الزيتون) سنة 1965 م، و(من وحي الأطلس) الذي نشر قبل وفاة الشاعر بعام أي بسنة 1976 م وملحمة شعرية هي (إلياذة الجزائر لسنة 1972 م

حيث يعد ديوان (اللهب المقدس) أهم وأشهر دواوينه، باعتباره ديوان ثورة التحرير الجزائرية، ففي وحيها صاغ الأناشيد والقصائد ،[2] فقلما تخلو قصيدة من قصائد ديوانه من هذه الظاهرة وقد صرح هو نفسه بهذه الحقيقة في مقدمة ديوانه عندما قال : " اللهب المقدس هو ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح، وبطولاتها الأسطورية، وأحداثها الصارخة وهو شاشة تلفزيون تبرزه إرادة شعب استجاب له القدر"[3].

ويضم ديوانه أربع وخمسين قصيدة، منها ست قصائد بعنوان : (من أعماق بربروس)، وعشرة أناشيد بعنوان (تسابيح الخلود)، وتسع وعشرون قصيدة بعنوان : (نارونور)، وثلاث قصائد بعنوان : (تنبؤات شاعر)، وست قصائد بعنوان : (فلسطين على الصليب)، وتعد القصيدة الأولى وهي (الذبيح الصاعد) رائعة الديوان[4] . فالمتصفح لديوان شاعرنا لا تغيب عنه هذه الحقيقة، فهو كله ثورة، وقصف، ونار، ورصاص ... ومن خلال عناوين القصائد التي يشمل عليها، فمثلا عندما نقرأ (فاشهدوا) يتبادر إلى أذهاننا جماعة من الثوار في وسط المعركة حامية الوطيس وأن الاستعمار لم يعترف بحقوقها وبالتالي فشاعرنا يدعوها إلى الاستشهاد في سبيل نيل حريتها واستقلالها وكرامتها.

(1) أحمد قسطاس ، مجلة دعوة لحق ، ص 11.

(2) حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م ، ص 37

(3) محفوظ كحوال ، أروع قصائد مفدي زكريا ، ص 13 .

(4) حسن فتح الباب مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، ص 39 .

فنفس الشيء بالنسبة للعناوين التالية: (وتكلم الرصاص جل جلاله، سنثأر للشعب، فلا عز حتى تستقل الجزائر ، أذكروا الثورة في أقسامكم. [1]

ما جاء في قصيدته المعنونة بـ "سنثأر للشعب" والتي أنشدها في المهرجان العظيم، الذي أقامه الديوان السياسي للحزب الدستوري نوفمبر 1960 يقول:

فخبرني الدنيا نوفمـبر أننـــــا سنثأر للشعب الذي لـــم يزل يشقـــى

سنثأر للبيت الذي كان أهـــــلا فرجت به الألـــــــغام تسحقه سحقـــا

ستثأر للبيت التي ديس قدســـها ودنس أجناس الخنا عرضها الأنقـــى

سنثأر للطفل الرضيع، وقد غـدا وفي فمه الـرشاش بحسبه رزقـــــا

فبقليل من التأمل في هذه الأبيات نجد أسباب ثورة شاعرنا جلية وواضحة للعيان، فهو يثور ويثأر لشقاوة شعبية، الذي أخرج بقوة ويثأر لشقاوة شعبه الذي أخرج بقوة ، ويثأر للفتاة التي هتك عرضها ويثأر للطفل البرئ.

أيضا دعوته الجريئة إلى استمرارية الثورة فإن النصر والاستقلال التام، وإما الموت والاستشهاد في سبيل الوطن الغالي، وقد نجد هذه "الاستمرارية" وهذه " اللارجعية " مجسدة في نشيد "جبهة التحرير" الذي يردده جنودنا في ساحات القتال، يقول:

على استقلالنا يا فرنسا ثرنا وحق شيء في الدنيا ما يرجعنا

الصدر ضاق والرصاص تكلم صوت الجزائري قمم الجبال يدمدم[2]

أما في ديوانه "إلياذة الجزائر" فهي ملحمة شعرية تتغنى بأمجاد الجزائر وبطولاتها ... فقد بلغ عدد أبياتها ألف بيت وبيت (1001) نظمها في مئة مقطوعة تضم كل منها عشرة أبيات تنتهي بلازمة .إضافة إلى أن موضوعها موضوع ملحمي يحكي قصة شعب

(1) محفوظ كحوال ، أروع قصائد مفدي زكريا ، ص 14.

(2) نفسه ، ص 17.

مع نضاله.[1] حيث يقول "مولود قاسم" في تقديمه للإلياذة : "ولهذا طلبنا من المناضل الكبير، الشاعر الملهم، شاعر الكفاح الثوري السياسي، وشاعر الكفاح الثوري المسلح، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية ... أن يضع لنا نشيداً جديداً يجمع هذه الأناشيد كلها، ويشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم، مركزا على مقاوماتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبية"[2].

فقد كان هادفا إلى بعث التاريخ الجزائري المضيء، والإشادة به من خلال تلك القصيدة التي صيغت في قالب الشكل الملحمي من حيث رواية الأحداث التاريخية، وإحياء ذكرى أصحاب الأدوار البارز فيها من قادة وحكام وعلماء وشعراء، وتصوير بعض المعارك والتي دارت بين الممالك الجزائرية وأعدائها.[3] وقد قسم مفدي هذه الملحمة إلى جزئين يتضمن أولهما وصف الجمال الطبيعي للبلاد، ويتضمن الثاني تصوير المجد التاريخي .... ويستهل مفدي زكريا ملحمته بالمقطع التالي:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنـــــات

ويا بسمة الرب في أرضه ويا وجهة الضاحك القسمات

ويا لوحة في سجل الخلود تموج به الصور الحالمات[4]

فنجد أيضا الأوراس الذي أطلق اسمها على ثورة الجزائر، فسميت ثورة الأوراس إذ كانت أهم معاقل المجاهدين، ومن قممها وسفوحها دوت رصاصاتهم وصيحاتهم التي زلزلت قلوب الغزاة، حيث يقول:

سل الأطلس الفرد عن جرجرة تعالى يشد السما بالثرى

تـلـون وجـه السمـاء بـــه فأصبح أزرقها أخضرا

(1) خرفي خيرة ، حجاجة التكرار في إلياذة الجزائر : مفدي زكريا ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير ، إشراف عبد الحليم بن عيسى ، جامعة وهران ، 2014 ، 2015 ، ص 13.

(2) مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 1987 ، ص9 .

(3) حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، ص 54.

(4) نفسه ، ص 56،57.

ثم يمزج بين ثورة قلبه وثورة شعبه، ويذكر القارىء وبكفاحه في سبيل هذه الثورة إذ نجده يقول:

بها داب قلبي كذوب الرصاص فاوقد قلبي وشعبي جمرا

وثـورة قلبــي كثــورة شعبــي هما ألهماني فأبدعت شعرا[1]

هذا ما يمكننا قوله: "حول الشعر الثوري" عند مفدي زكريا من خلال "ديوانه اللهب المقدس " و"إلياذة الجزائر"، وإضافة إلى مخطوطاته الشعرية والنثرية، إن ثورية شاعرنا لا تكمن فقط في دواوينه الشعرية وكتاباته النثرية، بل في نضاله وجهاده، ومشاركته في الثورة المسلحة، لذا فهو مناضل قولا وفعلا،[2] بحيث يتبوأ مفدي زكريا المنزلة الأولى في طبقة شعراء الثورة الجزائرية بلا منازع يذكر، كما يجب أن يصنف في الطبقة الأولى من الشعراء الجزائريين في القرن العشرين.

ولعله الشاعر الأكثر شهرة في الداخل والخارج في تاريخ الشعر الجزائري إطلاقا، ويعود ذلك إلى قصائده الغر التي خَلد بها الثورة الجزائرية فخُلد بها.[3]

لقد رأينا الثورة في كل حرف من حروف شعره، فهذه دلالة على وطنية الشاعر وحبه الخالص لوطنه، فلم يقتصر نضاله على الشعر فحسب، بل تعدى ذلك إلى النضال السياسي والجسدي لذلك انعكست الثورة التي عاشها بكل جوانبها في كلمة من كلماته سواء في ديوانه "اللهب المقدس" والذي يعتبر ديوان ثوري بكل المقاييس، أو ديوانه "إلياذة الجزائر" فهو نابع من صدق التجربة النضالية، فثورية شاعرنا واضحة في جميع أدبه فمفدي زكريا باختصار هو "شاعر الثورة الجزائرية" بكل ما تحمله الثورة من نضال شعبها وموت شهدائها وبطولاتها وانتصاراتها إلى العزم على استقلالها واسترجاع سيادتها.

---

(1) المرجع السابق، ص 63،65

(2) محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكريا، ص 23.

(3) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ص 428.

الفصـــــل الأول

تجليات صورة الشخصية الفرنسية

في شعر مفدي زكريا

1 -الصورة الحسية

2- الصورة المعنوية

3 - الصورة الدينية

التاريخ قدر مشترك يحتفظ بجميع الأحداث والتطورات الإنسانية منذ فجر الحياة ، ويسجل جميع الخصائص التي ميزت هذه الحياة ، وعدلت سلوكها بالنظر إلى جذورها النامية الخاضعة لتأثير النشوء والارتقاء. بيد أن تلك الأحداث والتطورات التي يتألف منها التاريخ البشري ، لها مميزات اعتبارية تجعل الأجزاء المؤلفة لتلك الماهية الكلية ذات مقاييس مختلفة باعتبار الزمان والمكان وال طبائع والتقاليد ...ومن هذه النظرية أصبح تاريخ كل امة متميزا عما عداه بألوان وخصائص.[1]

فالثورات الكبرى كانت جميعها مصدر الهام للمفكرين نضجت في ظله القرائح والأقلام فخلدت للأجيال الطالعة تاريخا من البطولات حافلا بأناشيد العظمة الثائرة في اندفاع وقوة.[2]

إن المقاومة في مواجهة الاستعمار رفض له وإباء، لأنه استعباد للمستعمر ، وإنكار لشخصيته وهويته وتاريخه، وإهدار لكرامته وإنسانيته.

استعمار لا يكون إلا في امة فقدت عناصر منعتها وقوتها ، فأصبحت قابلة للاستعمار ، والمقاومة تأتي بعد ذلك في الأمة الماجدة انتفاضة لضمير الأمة وروحها المستكن في رجالها ونسائها الصالحين والصالحات.[3]

وكما نرى فشلت فرنسا في ميدان الحرب وجبهات القتال , كما فشلت في محاولة طمس مآثر الشعب الجزائري وأمجاده عبر التاريخ، بنكران وجود ذاته ومنازعة حقه في أن يكون له تاريخ وماض مثل أي شعب ، ولقد بذلت كل ما في وسعها في هذا المجال لدعم جهود سياسة الاحتلال الرامية إلى طمس معالم شخصيته.[4]

الأدب في الأمة العربية كان وما يزال من ابرز عناصر قوة مقاومتها للاستعمار ، والأدباء كانوا وما يزالون من اخلص الجنود لأوطانهم في معارك التحرير و الإنعتاق،

---

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر،ط5، 2007، ص121.

(2) نفسه، ص122.

(3)نفسه، ص19.

(4)قويدر مختار، الطفل الجزائري و صورته المأساوية في شعر القنبلة الذرية الفرنسية و تفجيرها بصحراء الجزائر، مجلة لغة الكلام، جامعة معسكر، 2016، ص107.

وذلك عندما استجاب ويستجيب الأدب والأديب لرسالة التي يفرضها عليه واقعه وظرفه التاريخي فرضا، وقد صورها الشاعر "صلاح عبد الصبور" أحسن تصوير حين قال: "إن الفنانين والفئران هم أكثر الكائنات استشعار للخطر ، ولكن الفئران حين تستشعر الخطر تعدو لتلقي بنفسها في البحر هربا من السفينة الغارقة . أما الفنانون فإنهم يظلون يقرعون الأجراس، ويصرخون بملء الفم، حتى ينقذوا السفينة ، أو يغرقوا معها"

ولم يتأت ذلك إلا حين امن ويؤمن الأديب بهذه الرسالة إيمانا راسخا، يملك عليه حياته ولا عجب بعد ذلك أن تصبح رسالة مقدسة[1]

يقول عنها مفدي زكريا:

رسالة الشعر في الدنيا مقدسـة ... لـولا النبوة كـان الشـعر قرأنـا

فكم هتكنا بها الأستار مغلقـة ... وكـم غزونا بها في الغيب أكوانـا

وكم حصدنا بها الأصنام شاخصة ... وكـم بعثنا من الأصـنام إنسانـا

وكم رفعنا بها أعـلام نهضتنـا ... فخلد الشعر في الدنيـا مزايانـا[2]

ولا يوجد - في تقديري - أديب جزائري تجسدت في أدبه المقاومة في مختلف مراحلها كما تجسدت في أدب مفدي زكريا ، فكان شاعر الثورة التحريري ة الجزائرية بدون منازع، فكتب جل أناشيدها بداية بالنشيد الرسمي للثورة الجزائرية "قسما" وانتهاء بنشيد جيش التحرير الوطني الذي نظمه بسجن برواقية ، بلغة شعبية جزائرية قريبة من الفصحى. الذي لديه موقف صريح وصارم في مواجهة الاستعمار ، ومقاومة مستميتة له بجميع أشكالها، كان يتقدم فيها الصفوف ، يكتوي بنار المعركة ، ويتحمل ألام المواجهة وتبعاتها من سجن وتعذيب مكتفيا عن المقاومة بدعوة شعبه إلى خوض غمارها ، وبتعبئة صفوفه.[3]

فتعددت أشكال الاستعمار في شعره من صورة إلى أخرى.

(1)مصطفى حمودة، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، المقاومة في أدب مفدي زكريا، ع17، جامعة غرداية،2012، ص20.

(2)مفدي زكريا، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، ص245.

(3)مصطفى حمودة، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، ص27.

1-الصورة الحسية:

إن الكتابة عن الفظائع الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وما ارتكبته فرنسا عن أبشع الجرائم ضد الإنسانية يعجز عنها اللسان والقلم ، إن الجرائم المرتكبة في عهد الاستعمار لازالت تشهد عنها الأجيال المتتالية ولازالت أثارها خالدة في هذا القطر الجريح الذي سقطت دماء

الشهداء كل شبر من أراضيه بحيث انه من المستحيل أن ينكرها التاريخ[1]

وهذا ما سنراه في "ديوان اللهب المقدس " حيث يقول:

ويجوع ابنها، فيعدم قوتـــــا وينال الدخيل عيشا رغيدا ؟

ويبيح المستعمرون حماه ـا ويظل ابنها , طريد شريدا ؟[2]

حيث قام المستعمر بالتجويع والسيطرة على الشعب وباستباحة حرمات الشعب والوطن.

يقول أيضا :

يا فرنسا أمطري حديدا ونـــــارا واملئي الأرض والسماء جنودا

وأضرميها عرض البلاد شعالي ل,فتعدوا لها الضعف وقـــودا

واستشيطي على العروبة غيظا واملئي الشرق والهلال وعيـــــدا [3]

فهنا إشارة إلى أعماله الإجرامية، من قصف وحشد الجنود ، وإضرام النار في الحقول والأراضي وكذلك التهديد والوعيد.

يقول :

احشري في غيـــاهب السـجن شعـــــبا سيم خسفا , فعاد شعبا عنيدا

واجعلي ((بربروس)) مثوى الضحايا إن في بربروس مجـدا تليـــــدا!!

واربطي، في خيـــاشم الفـلك الـــــــدو ار حبلا ، وابقى منه جيـــدا [4]

وهنا دلالة على حشد الشعب الجزائري في السجون والى ممارسات التعذيب الذي كان يقوم بها الاحتلال الفرنسي.

---

(1)منتدى التاريخ الجزائري، فظائع الإستعمار الفرنسي في الجزائر وعزيمة التحرر، 6-02-2017، س 21:51.

(2)مفدي زكريا، اللهب المقدس، 22.

(3) نفسه، ص23.

(4)نفسه، ص23.

ونجده أيضا يقول :

أمـا السهـــياط، به الجـــلاد يلهـــبني أم خازن النار يكويني فأصطفق

والحوض حوض، وان شتى منابعه ألقى إلى القعر، أم أسقى فانثوق[1]

ويقول :

لم يثنه دون إدراك المنى رهق إن هم، احرقوا بالنار أو شنـــقوا

هذا الذي يا فرنسا تهدفين لـه جهل ، أما في فرنسا حازم حذق؟

وضع السلاح أحاديث ملفقة خرافة، صاغـــها للكيد مختـــلف [2]

في هذه الأبيات إشارة إلى ألوان وأشكال التعذيب التي تلقاها الشاعر في السجن إضافة إلى سياسة فرنسا الهادفة إلى نشر الجهل بين الشعب والى المكائد التي تضعها.

يقول :

لغة القنابل في البيان فضيحة وضعت لمن في مسمعيه صمـام

(لوافح)النيران خيـر (لوائـح) رفعت لمن في ناظريه ركـــــــام

و روائح البارود مسك نوافح سجرت لمن في منخريه زكـــــام

والحق و الرشاش نطقا مـعا عنت الوجوه فخرت الأصنـــــــام! [3]

بالإضافة إلى الأعمال الإجرامية التي تقوم بها أيضا أباحت جميع الوسائل من قنابل ورشاش ونيران وغيرها لقتل وتعذيب الشعب.

يقول أيضا :

لا القاصرات الغافلات كواعبا ديست قداستها وفـــض ختـــام

الحامـــلات بطونـــها مبقـــورة ذبـــحت أجنتها وفـــك الـــحزام

لا، والمراضع عوضت أثداؤها بفم المسدس ،والرصاص فـــطام

والأم يهتك عرضها وفحولـــها (حول الفضيحة) شاخصون قيام [4]

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص25.

(2)نفسه ، ص28، 29.

(3)نفسه ، ص42.

(4)نفسه ، ص43.

دلالة على الأعمال التي كان الاستعمار الفرنسي يرتكبها ضد النساء الحوامل والمرضعات إضافة إلى هتك الأعراض وانتهاء الحرمات على مرأى الجميع .

ويقول أيضا :

اجلدوا.....عذبوا.....

واشنقوا .....واصلبوا.....

واحرقوا..... واخربوا.....

نحن لانرهب ..... ! [1]

فهذه دلالة واضحة على الأساليب الإجرامية التي قامت بها ضد الشعب الجزائري من شنق وقتل وإحراق فقد تفننت في إذلاله وتعذيبه.

يقول :

قذفته إلى الحـــياة يد المـــو ت، فلم يقض في الحـــياة ربيعـــا

وسقته السموم في عالم الغي ب، فرنسا ....فجاء شكلا مريعا

شوهت خلقه جريمتها الكـــب رى وجـــرته للخـــراب سريعـــا[2]

ظلم المستعمر المتمثل في القنابل الذرية على الشعب ومخالفاته ، والى أثارها من قتلة وتشوهات وخراب .

نجده يقول :

وليســت ببالغة أمرهـــــا وجلادها صار دلالها

ولا خير فيها... إذا لم تثر لتنسف بالنار أغلالها [3]

إشارة إلى الجلد والتقييد بالأغلال للشعب الجزائري المنـــاضـــــل.

ويقول أيضا:

واشنق في حبل مستعمري واصلب في كف جلاديه

ويسلبني عزتي غاصـــبي وتنهـــب داري قطاعيـــه [4]

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص73.

(2)نفسه ، ص139.

(3)نفسه ، ص235.

(4)نفسه، ص281.

وهنا دلالة على التعذيب الذي تلقاه الشاعر "مفدي زكريا" من طرف المستعمر أثناء زجه في السجن .

أما عن ديوانه "إلياذة الجزائر" فقد أعطى عدة صور للمستعمر.

فنجده يقول :

وصبت النفايات في ارضنـــا وخان المسيح وأغرى السوامـــا

وفيه إشارة على قذارة المستعمر وأعماله الوسخة التي قامت بها فرنسا أثناء نشاطها في الجزائر .

ويقول أيضا :

وان المـــونا بمائة عـــام حفلنا بعيـــدا الجـــزائر ده ـــــرا

وان رقصوا فوق أشلائنا واحيوا على مذبح الشعب ذكرى[1]

فمن أعمالهم الإيذاء وإلحاق الألم بالشعب ، كما أشار إلى احتفالا تهم بالمجازر التي ارتكبوها على الشعب وأصبحت ذكرى لهم.

يقول :

ولم ننسى في أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس

فكانوا مع الغدر عونا علينا ودرسـا لقـــــادتنا أي درس

فكانت مجـــازرهم بسطيف وقالمة للشعب دقات جـــــرس[2]

فهنا تكلم عن مجازر 8 ماي 1945 م والتي كانت فاجعة للشعب الجزائري وذكرى مأساوية للأجيال، كما تبين أيضا وحشية الاستعمار وأعماله الدنيئة .

ويقول:

وهز لسترداد شعبـــــا ثوانـــي وأيقظ في العمق صيت حس

وعملنا اشيـــاري الثنـــايا فبدد لهـــون الدمـــا كل لبس

فعطل صوت الرصاص اللغى وانطق السنة غير خـــــــرس[3]

(1)مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ط1، 63.

(2)نفسه ، ص66.

(3)نفسه ، ص66.

فهنا أعمال فرنسا الدامية و الموحشة التي غطت ارض الجزائر، وصوت الرصاص الذي انطق كل الألسنة .

ويقول أيضا:

وفار بتنورها كاربونـــال فأصبح كاربون حمـــاها[1]

فهي إشارة إلى الأعمال السيئة التي قام بها الجلاد كاربونال في مدينة قالمة وحق كل جزائري .

يقول :

أننسى ثلاثة أيام نحـــس وسوستال يندب في النانحين [2]

فهنا إشارة إلى المعركة التي دامت في وادي سوف والتي راح الكثير من الضحايا

ويقول :

ومن دمـه يرتـوي ويـروي سنابله ويفـــــدى البـلادا

وجنت فرنسا لإضراب شعب فعاشت بعرض البلاد فسادا [3]

وهنا دلالة على بشاعة المنظر من كثرة القتلى والشهداء التي يقيمها المستعمر والى أعمال الاضطهاد والقمع للشعب .

ويقول:

وكم الحـــــقوا بالمـــــــــهاجر ذلا فذاق العذاب الأليم الوبيـــــلا

فيا عـــــام ستين قـــــص علـــينا فضائح جيش يذوب غليـــــلا

سل السين كم قذفوا من الضحايا وكم صنعوا المذهل المستحيلا

وسل في المنـــــــاجم كم من قتيل أهالوا عليه التراب الثقيـــــــــلا

وكم في السجـــــــون فرنســـا برئ من الداء والعذر عاش عليـــلا[4]

(1) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص73.

(2)نفسه ، ص76.

(3)نفسه ، ص77.

(4)نفسه ، ص79.

وكما نرى العذاب الذي ألحقته المحتل بالمهاجرين والألم الذين عاشوه ، كما نرى في الأبيات أعمالهم وفضائحهم الوقحة من قذف وقتل وسجن الأبرياء وهذا فقط للتجبر عليهم وإذلالهم.

يقول:

ومهما يقيمون فيه احتفالا فقد عاد يهفو لأكبادنـــا[1]

فهي إشارة إلى الاحتفالات التي قامت بها فرنسا بمناسبة مرور فترة على الاحتلال ، وهنا كأنها تحتفل على التشريد والقتل والتعذيب التي قامت به خلال تلك الأعوام .

2-الصورة المعنوية:

وهنا نعرض الصفات التي تجلت في شعره والصورة التي أتى عليها الاستعمار الفرنسي نجده يقول:

ثورة تمـــلأ العـــوالم رعبـــا وجهاد يذرو الطغاة حصيدا [2]

يقول أيضا:

أمن العدل صاحب الدار يعري وغريب يحتل قصر مشـــيد؟[3]

حيث نجد يصفهم بالطغاة والمصائب وكذلك بالغريب والدخيل الذي احتل الوطن .

يقول :

يا سماء اصعقي الجبان، ويا أر ض ابلعي القانع الخنوع البليدا

يا فرنســـا، كفـــى خداعـــا فإنـــا يا فرنسا لقد مللنـــا الوعـــــودا[4]

وصفه بالجبان والقانع والخنوع و البليد وكذلك المخادع الذي يعطي الوعود الكاذبة .

ويقول :

فلا ضمير عن الفحشاء يردعهم إن اسروا فسقوا، أو أعسروا سرقوا[5]

نعتهم بموت الضمير والذين يقيمون الفحشاء دون مبالاة، كما وصفهم بالســـــــارقين .

---

(1)مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص91.

(2)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص19.

(3)نفسه ، ص20.

(4)نفسه ، ص22.

(5)نفسه ، ص30.

يقول أيضا :

وضعت فرنسا في الرذالة بدعة لم تروها الأعصار وهي ظلام

يا لعنة الأجيال ؟ أنت شهـــادة أن التمـــــدن للشـــــرور لهـــــثام[1]

فقد وصفه بالنذل وبأنه لعنة الأجيال، وان فرنسا هي الشر بعينه.

يقول :

كاللص، يسترق المتاع ويـدعي ملكا ...أيسمع للصوص كـــلام؟

لا تعجبوا فالقوم ضراع صـوابهم يا ناس ليس على المريض ملام

من يسرق الاحرار في لكب السما يسرق شعـــــوبا واللصوص لئـام[2]

وما نلحظه انه وصفهم باللصوص المحترفين الفاقدين لوعيهم ، واللئيم الطامع في حقوق غيره وسلب ما ليس حقه.

ويقول :

يافرنسا فين طغاوتك وفشوشـــك

ياظالمة ...امسكناك من الخناقة

ويقول:

الكذب حبله قصيف يا كذابه

والخاين ماتواتيش معاه ارفاقه[3]

يقول:

ياثورة التحرير صوني الحمى وحرريه من يـد الغاصـــبين

شقي الطريق فوق سيل الدما وحطمي الطاغين والظالمين [4]

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص43.

(2)نفسه ، ص45.

(3)نفسه ، ص28، 29.

(4)نفسه، ص78.

ويقول أيضا:

كم عصـــــــــفنا بالجبـــابرة ؟

سل شعوب الأرض عنا

كم صرعنا الظالمين

وصدعنا الظلمـــــات [1]

ما نراه في هذه الأبيات صفات للمستعمر فنجده يزعقبالطامع المدعي والطاغية والظالم والكاذب و الخاين الذي لا يؤتمن.

نجده يقول:

وإذا أتى يوم الحساب فلا تتم و اقرء حساب الماكر الغـدار [2]

ويقول أيضا :

وأن الشـــــــــــامتين بنا أبادوا اعز ديارنا نفســـــا ومحـــــقا

وأن العـــــــــــــابثين بنا أزالوا مرابض أسدنا هدمـا وحرقـــا [3]

ويقول :

أم أرض ربك، زلزلت زلزالها لما طغى أرضه، المستعمر؟ [4]

ويقول أيضا:

ونزلـــــــــــت آيـــــاته لهـــــابة لواحة، أصغي لها المستهتر

ويقول :

والغاصبون، العابثون إذا هم سمعوا الحديث،من الحديد تدبـروا .؟ [5]

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص84.

(2)نفسه ، ص101.

(3)نفسه ، ص105.

(4)نفسه ، ص115.

(5)نفسه ، ص116.

حيث يصفهم بمجموعة من الصفات منها الطاغي والمستهتر والغاصب للأراضي والعابث وغيرها من الصفات الغير محمودة .

ويقول:

مهازل تضحك الأحجار،جاء بها قوم قلوبهم قدت من الحجر [1]

حيث يرى أن قلـــــــــوبهم قاسيـــــــة جاءوا إلى الجزائر وعاشوا فيها فســـــادا.

ويقول أيضا:

ويا ابن مريم ...في ذكراك موعظة لو أنها تلهم الرشد ،المجانينا؟[2]

ويقول:

فرنسا , أضاعت رشدها يوم أسلمت قيادتها (ديغول) يحكـــمها قهـــــــرا؟

تدحرجه (هيستيريا)الحكـــم للـــفنا ويدفعه مس الجنون إلى العســـرى؟

خراب ،وفوضى وانحـــــلال وأزمة به سرطان الموت في دمها استشرى؟

تكذبـــه ،في كل قـــول، فعـــاله مريض، يصوغ الوهم أفكاره البترا؟[3]

وصفه بالمجنون، كما وصف "ديغول" بالمريض الذي لا يعرف حاله فلم ير فيه رجل العادل، فهو ضعيف الشخصية، لا يرع عهدا .

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص122.

(2)نفسه ، ص129.

(3)نفسه ، ص260.

ويقول :

لاتطمعي النصر من جند، سماسرة أيحرز النصر مأجور ومرتـــــــــزق ؟[1]

ويقول أيضا :

زهـــــم غره التسامـــــح فينـــــا فغدا-في متـــــاعنا-سمســـــارا[2]

ويقول أيضا :

وتعقد باسم السلم، للحرب، زنـدوة يصرفها السمسار (بالعملة الصفرا) [3]

ويقول أيضا :

ينعته بالسمسار اللئيم والمخادع والنصاب الذي ينهب في خيـــرات الوطـــــن .

ويقول :

وأن الشـــــــامتين بنا، أبادوا اعز ديارنا، نفسا ومحقـــــــا[4]

ويقول :

ورمى الشامتون فيها، بنيها بالتعادي، والحقد لؤما وغـــــدرا[5]

فقد وصفه بالشـــــــامتين والمعـــــــادين .

وفي موضع أخر يقول :

رزايا ...بعضها برقـــاب بـــعض توالى ...ما يرد لها جمـــــــاح[6]

ويقول أيضا:

عبرنا على- السبع الشداد- نشقها ولم تثنينا الأرزاء أن نعبر (العشرا) [7]

ويقول أيضا :

وخاف الحواجز تحمي الغـــلاة وتبكي فرنســا لها ...فضحكـــــنا

وفكر ديغـــــول في حمـــــقهم وفي صدقـــنا ...ثم قال فهمـــــنا

---

(1)مفدي زكريا،اللهب المقدس، ص30.

(2)نفسه ، ص202.

(3)نفسه ، ص259.

(4)نفسه ، ص105.

(5)نفسه ، ص239.

(6)نفسه ، ص183.

(7)نفسه ، ص257.

ويقول:

ويا بلدة عصفت باللئـــام وحمق فرنسا وحكامـــها[1]

ويقول:

فيا أربعين وخمســـا أعيدي فضائح جند غبي بليـــد

وتغزو السياسة فكر الزعيم فيصبح فكر الزعيم بليـدا[2]

ويقول أيضا:

ويصعق فيه بصوت جـديد فيصعق منه الغِل الجـبان[3]

ونلحظ من خلال الأبيات السابقة قد نعتهم بالطغاة والحمقى الأغبياء المضطربين في عقولهم ، وكذلك شبههم بالإنسان الأصم والأبكم و الأعمى ونعتهم بالجبن والإذلال والخوف أيضا وصفهم باللؤم .

ويقول:

فكم أزعـــجوا نائبـــات الليـــالي وكم دوخوا المســـتبد الظلومـــا

وأهوى على البغي بذور الجذوع ويغرس في الجبـروت الفؤسـا

فأغـرى بمليـــانة الطـــــام ـعين وما كنت للطـــــامعين وديـــعه

وأرقـــــــا منـــا العـــربيـــة مالت أوروبا العجوز لها طوعنا[4]

ويقول:

سليـــمان حمزة آلى يميـــــنا فبر وأصلى المـــــــغير الوبـالا

وجيش ابي شوشة المستمين بصحرائنا ينسـف الاحتـــلال

(1) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 82.

(2)نفسه ، ص 67.

(3)نفسه ، ص 64.

(4)نفسه، ص42،40.

يقول:

يا مسعدينا (بدمع) في رزيتنا ومستعفينا (بعطف) في بلايانا[1]

فوصفهم بالهرزية والبلية التي ابتلت بها الجزائر .

أما عن الصور المعنوية للمستعمر الفرنسي من خلال إلياذة الجزائر فسنتناولها في ما يلي:

يقول:

وأهوى على قدميها الزمان فأهوى على قدميها الطغاة[2]

ويقول أيضا:

وهام بك الناس حق الطغاة وما احترموا فيك حتى الزمان[3]

ويقول :

وتفشوا حماقات كوهين بانذت فتحدث في الأغبياء اضطرابا

ويقول أيضا:

وكيف يوسوس البلاد بليد أضاع الضمير فضاعا؟[4]

ويقول :

وكان الفرنسيس صهما وبكما وعيا فأصغى لنا من تمارا

وبارك فارا ... يوزع نارا فيخلع بالرعب قلب الجبان

وصحراؤنا وابن شهرة فيها يهيل على الغاصبين الرمالا[5]

ويقول:

وترسي جذور الأصالة في الشعب تمحوا بها وسمة الدخلاء

ويقول :

وتخشى الخفافيش ويرتاع مستعمر مستبد[6]

---

(1)نفسه ، ص 248.

(2)مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص19.

(3)نفسه، ص 118.

(4)نفسه ، ص 57.

(5)نفسه ، ص 58.

(6)نفسه، ص 62.

ويقول:

وتخـر جبهـــــتنا بالبـــــلايا فتسخر بالظـــــــلم والظالميـن[1]

ويقول أيضا:

وريض المحاميد احرار غوما ومن حطموا الظلم والظـــــالمين[2]

ويقول:

ورحـــــــنا نجمـــع ماطيرتـــه يد الغاصبين شظـــايا شظـــــايا[3]

وصف الشاعر المستعمر بالمستبد والظالم وال باغي، كما وصفهم بالمتجبرين ، الطامعين في خيرات الجزائر، وكذلك بالمحتل والمتغصب لحقوق الشعب ، وأنهم دخلاء وغرباء عن الوطن.

ويقول:

ومـــــــروحة الداي لم تك إلا كما يستبيح اللصوص الحراما

ولولا تخاذل بعض الكسالى الرعـــاديد لم نفلت المجرمـــا[4]

ويقول:

فلم يك غير القصاص سبيلا صرخنا فلـــم يعبؤوا بالصراخ

وخامر دوي صداع السكارى وزلـزله عزمـنا فـــــتوارى[5]

ونجد الشاعر نعت المستعمر الفرنسي باللص الذي يستبيح الحرام والمجرمين كما وصفهم باللامبالين والمخمورين والسكارى .

(1)نفسه ، ص70.

(2)مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص76.

(3)نفسه، ص88.

(4)نفسه، ص 54.

(5)نفسه، ص28، 29.

3-الصورة الدينية:

تكلم مفدي زكريا في ديوانه "اللهب المقدس "عن الديانة، والذي حاول الاستعمار الفرنسي طمسها كما سنرى في الأبيات الآتية:

ويقول:

سوف لا يعدم الهلال صلاح الد ين فاستصرخي الصليب الحقودا[1]

ويقول أيضا :

وعن العقيدة زوروا تحـــريفه فأبى مع (الإيمان) أن يتزعزعـــا[2]

ويقول :

مآ {{لصليب على الجدران }} يزعجهم ومن ايادة شعب لا يثورونا[3]

نرى أن المستعمر الفرنسي الحامل للديانة المسيحية والذي حاول نشرها بين الشعب الجزائري والذي حاول تحريف الدين الإسلامي والقضاء عليه.

أما عن ديوانه "إلياذة الجزائر " قد تطرق أيضا لتصوير الديانة

حيث يقول:

متى سيتوب الألـي لم يهـــزال بوحدة مغربنا كافـــرين؟[4]

وأيضا:

و أوغـر قلب الصليب الحقود عـلانا وأمعن فينا الحســود[5]

ويقول :

ولفت شرارتها أشـــــــيا زي وكـــان عدوا لإسلامـــتها[6]

---

(1)مفدي زكرياء، ديوان اللهب المقدس، ص 23.

(2)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 53.

(3)نفسه، ص130.

(4)مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص 50.

(5)نفسه، ص 52.

(6)نفسه، ص73.

أيضا:

وحـــاول تنصير أطـفالـــــنا فـي ارض فرنسا فباء خسـارا[1]

يقول:

وبروم‌ـون هل دام حـقد الصليب؟ أنـــال تريقوار مـن بأسـنا؟[2]

يقول:

وزاغـــــوا بهم دون إسلامـــهم إلـــى مذهب ليس بالسـلـــــالم

وداسـو شيوعة كالهـــــــوباء كـما يصرف السم للطـاعـــم[3]

نجده يقول أيضا:

ومن ألبسو الحق حقدا دفـينا وألـهـــقى الصليب عليهم ضـلالا

واعـيا المبشر عمق العقـيدة فلم تجد فينا المساعي الحمـيد[4]

نجد الشاعر ينعتهم بالكفر والناكرين للحقيقة ، وإنهم أعداء للإسلام وحثهم إلى دعوات التنصير التي شنتها فرنسا على أطفال الجزائر ومحاولتها لهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس لنشر الديانة المسيحية وتخطيطها لانحراف الشباب والمواطنين عن دياناتهم الإسلامية.

ومن هنا نلحظ في ظل الوحشية جاءت صورة المستعمر الفرنسي عند مفدي زكريا والذي يمثل الريادة في الشعر الجزائري ، قد ألهمته ثورتيه المعهودة المؤيدة لبطولات الجزائريين شعراً ثائراً غاصباً ساخراً[5]، ويبدو هذا واضحا من خلال استعماله المكثف لصورة المستعمر في ديوانه "اللهب المقدس " التي جعلته يتناول فرنسا في عدة أشكال من الفرنسي المحتل ، إلى الجنرالات السفاحين ، والجنود المتوحشين ، والسياسيين الحالمين وكل ما جاء فيه من قصائد يعتبر صرخة عن الواقع الأليم .

(1)مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص 80.

(2)نفسه، ص 96.

(3)نفسه، ص 102.

(4)نفسه ، ص28، 29.

(5)عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر –الشعر وسياق المتغير الحضاري- ، دار الهدى، الجزائر، ص 16.

إذا ما ذهبنا إلى الصورة الحسية التي في قصائد ديوانه تدور في مجملها حول ما يلقاه السجناء من ألوان التعذيب والتي نال منها الشاعر نصيب كبير. كما أن السجن غرس في نفس الشاعر الصبر والتحدي وهذا ما جاء في قصيدةً بربروسً و ما جاء فيها من تنفيس عن مشاعر السخط والحقد من الاستعمار ، وبوليسه وجيشه بقدر ما هو إغاظة مستفزة للعدو الذي ما فتئ كل ما يملك من وسائل جهنمية للإبادة [1] فقد تعددت الصور من جلد الشعب والتقتيل والتدمير وغيرها من الصور.

وعند انتقالنا للصور المعنوية والتي تجسدت في وحشية المستعمر فنلحظ تكرر صفة الطاغية مرات عدة وهذا راجع إلى ما اللفظة من معاني عدة اجتمعت كلها لتعبر ع ن بنية الشر ، التي تحكمت في سلوك الفرنسيين ، فحولتهم إلى طغاة مستبدين ، كما تعود إلى ظلمه واستيلائه وعدوانه، واحتلاله ونهبه وإجرامه في حق الشعب الجزائري .

إذا عزمت فرنسا أن تفوز بالصحراء الجزائرية للخيرات الموجودة في أرضيها (الثروات الطبيعية) فإن مفدي زكريا يكذب هذه الأماني والأحلام التي تسعى فرنسا لتحقيقها . وان يعرض بالسياسة الفرنسية التي تناءت عن الحق بقدر ما اقتربت من الزو ر والظلم والعدوان على الجزائر وثورتها المجيدة ، في مواضع كثيرة من شعره ، ومادام (ديغول)هو احد الجبابرة الذين استولوا على الحكم ، فإن مفدي زكريا يتابعه في كل حركاته والهجاء في وجود ديغول على كرسي الحكم وقوع فرنسا في الهاوية. [2]

وقد تعددت الصور للمستعمر بأشكال عدة من الدخيل والغريب ، أيضا بالظالم والطاغية والبلية والرزية والتعذيب ، والتجويع ، وغيرها من الأعمال الوحشية والتعسفية.

إن المستقرئ، للصور المستعمر الأنفة الذكر في "إلياذة الجزائر " فقد نظمها بعد الاستقلال بحيث لم يكن بعد يعاش الوضع معايشة حقيقة وإنما أصبح في موقع المستحضر لأحداث وقعت في الماضي بحيث كانت معظم الصور تدور في مجملها بين الظلم والاحتلال ، الغباء ، البلادة ، اللؤم ...الخ ، حيث نلمس هذه الصفات في عدة مواضع من الإلياذة .

---

(1)محمد ناصر، مفدي زكريا، شاعر نظال الثورة منشورات جمعية التراث "العطف" غرداية، الجزائر، ط2، 1989، ص 145.

(2)حواس بري، شعر مفدي زكريا–دراسة وتقويم-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 87،86.

إن القمح الذهبي الذي أنقذ فرنسا من مجاعتها كان سبب في المشاحنة التي اتخذت فيما بعد كذريعة للاحتلال، إن اللئيم الذي أكرمته مخازن الجزائر من خيراتها قد تمرد . حيث ينطبق قول مفدي على كل مكان وطأته أقدام المستعمر الفرنسي، في ارض الجزائر كلها، فكل بلدة عصفت وحاربت وثارت هذا ولم ستلم بلدة أو دشرة أو مدينة من غزو الاستعمار ولم يسلم رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ من تعذيب فرنسا.[1]

كما أشار الشاعر إلى الأبيات والسياسات التي انتهجها فرنسا للسيطرة على الجزائر حيث تظهر لنا سياسة التعسف والقوة والعنف الذي مارسته فرنسا مثل :أعمال القتل على الأبرياء والزج بهم في سجون المستعمرة وتعذيبهم كما صور المجازر والمذابح والإبادة الجماعية التي كان يتعرض لها الشعب الجزائري الضعيف ، وجبروت وغطرسة الجندي الاستعماري وغ لظ كيده في اجتياح القرى و فتكها ، ولم يغفل على تصوير آليات طمس المقومات الوطنية وسياستها الإغرائية ووعودها الكاذبة.

فقد طغت عند مفدي الكلمات البركانية مثل (الضحايا، الغدر، المجازر، الفضائح الدماء، النار ...) فهي ألفاظ غليظة شديدة النبرة قوية الإحساس لا يتخللها رقيق الكلام مناسبة لجو المجازر الوحشية والرهيبة.[2]

نرى الشاعر قد أشار في حديثه إلى الدين وكيفية القضاء عليه ، فقد بذلت فرنسا لذلك الكثير من الجهد والمال ، كما أن حملاتها تندرج في إطار الحملات الصليبية والتي حاولت بشتى الطرق القضاء على العقيدة الإسلامية .

وأسسوا للصليب قائلين : (يجب أن يمحى القاضي المسلم أما القاضي الفرنسي ، فنحن الفاتحون، فلتعرف كيف نفرض إرادتنا.[3]

(1)الطاهر بلحيا، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 106،107.

(2)نفسه، ص 101.

(3)عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر –الشعر وسياق المتغير الحضاري-، ص 9.

لقد تجلت الثقافة الإسلامية عند الشاعر، حيث وظف عدة ألفاظ وكلمات تجسد لنا من خلالها صورة المستعمر الفرنسي، وهذه لغته أراد بها الشاعر أن يسجلها حتى يبين للناس أن الإسلام في الجزائر أصل وما سواه دخيل ، وهيهات أن يقوى الدخيل قوة الأصيل الذي شربته النفوس وطالبت بشريعته العقول التي آمنت بحتمية الحل الإسلامي في جميع مناحي الحياة.[1]

و أنه لم يغفل على تصوير آليات طمس المقومات الشخصية الجزائرية كمحاربة الدين الإسلامي المتمثلة في دعوات التنصير التي قام بها بعض التابعين لفرنسا ، لنشر الديانة المسيحية في كافة أراضي الوطن .

كما تفطن إلى الأعمال التي قامت بها لدس المذهب الشيوعي في عقول الشباب وانحرافهم عن ديانتهم، لذلك حاول أن يشير لهذه الأعمال لإيقاظ الشعب الجزائري .

وفي هذا الظلام الدامس ، والجو المعكر، يتسلل الشيوعيون وغيرهم من أصحاب الفكر العاطل ينفثون سمومهم في الشباب شعارات براقة وأمال فسيحة ويهتفون في أذانهم أن الوجوع إلى القيم الأصيلة من دين ولغة وعادات وتقاليد اقرها الإسلام يعد رجعية، ولكن فاق هؤلاء أن الانسلاخ عن الدين والمبادئ، التي جاهد الشعب من اجلها قرنا وربع قرن من الزمن، وقدم في سبيلها ثمنا غاليا لتبقى كمنهج يتبعه وشريعة يحتكم إليها في شؤون حياته العامة والخاصة يعد ردة.[2]

إن الشعب الجزائري شعب أبي تحمل كل مظاهر التقتيل الجماعي ، والتشريد و التفقير والتجهيل في سبيل الحفاظ على عقيدته الإسلامية السمحة، ولغته العربية المقدسة ووطنه العزيز، وعاداته وتقاليده العريقة السامية وتاريخه المجيد الحافل بالبطولات، وذلك طيلة ليل الاستعمار الحالك الذي دام أكثر من قرن وثلث القرن ، لم يتزعزع فيها إيمانه، أبدا بل زاده ذلك إيمانا وصمودا وقوة وشجاعة على الجهاد والمواجهة والمقاومة.[3]

---

(1)حواس بري، شعر مفدي زكريا–دراسة وتقويم-، ص 207.

(2)نفسه، ص210.

(3)قويدر مختار، مجلة لغة الكلام، ص 107.

وما نراه في الأخير أن مفدي زكريا قد أعطى لصورة الشخصية الفرنسية عدة نماذج من أعمال وحشية وأساليب مرعبة للتجبر والتسلط على الشعب الجزائري ، ومحاولته للقضاء على جميع مقومات الوطن من دين وحضارة وسيادة ، فكانت قصائده خير دليل على ذلك.

الفصـــــل الثانـــــــي:

الخصـــــائص الفنية لشعر مفدي زكريا

1 ـ اللغة الشعرية

2 ـ الموسيقى

3 ـ الصورة الشعرية

4 ـ التنـــــــــاص

لا ريب في أن الذي يقرأ شعر مفدي زكريا يلاحظ أن شعره يتميز بجملة من المميزات لعل أهمها جمالية الإيقاع وغناه، وتناص لغته مع القرآن و التراث الأدبي العربي القديم و الحديث و بساطة اللغة على ما فيها من أناقة و رشاقة، و العمد أي إستعمال الطريقة المباشرة في عرض الأفكار و القضايا، دأب القصيدة العمودية، وميل أثناء ذلك الخطابية المقعقعة[1].

وفيما يلي تحليل لأهم هذه الخصائص، و متابعة لها إنطلاقا من بعض النماذج التي نحيل عليها، أو نستشهد بها من شعره.

1-اللغة الشعرية:

مادام الأدب تعبيرا عن الحياة، أداته اللغة ، و اللغة هي الظاهرة الأولى التي ينبغي الوقوف عندها، [...] فالعمل الأدبي إذاً بناء لغوي، يستغل كل إمكانيات اللغة... ومن ثم فإن اللغة هي التي تعكس شخصية المؤلف. [2]

فإذا كان الشعراء التقليديون إعتمدوا الفكرة الجاهرة و التقريرية في شعرهم، و إعتمدوا الإقتباس من القرآن الكريم لتغذية لغتهم الشعرية، فإننا نجد شاعر الثورة مفدي زكريا- وهو ابن المدرسة القرآنية و المتشبع تبعا لتعاليم الإسلام -أيضا- قد خرج عن مسار ونهج الشعراء التقليديين "فكان شعره يقترب من لغة الإتجاه المحافظ ولاسيما قصائده الذاتية..." و إن كان شعره يمتلئ بكثير من الإقتباسات من القرآن الكريم، إلا أنه كان ينبض حيوية وصدقاً فنياً، ولم يكن يهتم بإيصال الفكرة فقط للمتلقي، و إنما كان شعره يتفجر صورا وطاقة ، تبعث في النفس إنفعالاً و توتراً، ليعيش المتلقي مع الشاعر هواجسه و أحاسيسه، ولإبراز اللغة الشعرية و الصدق الفني. [3]

(1) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ص 429.

(2) حواس بري، شعر مفدي زكريا-دراسة و تقويم-، ص324.

(3) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغة الشعرية اللغوي و الأأدبي، في معمار الشعر التقليديو الشعر الوحداني الجزائري، الجزائر، العدد، 2017، ص223.

يعد القرآن الكريم احد المصادر الاساسية في ثقافة مفدي زكرياء و لذلك لا يتخلى عن ألفاظه و معانيه، وكما للفظة القرآنية من وقع خاص و أثر متميز، و للقرآن دقة خاصة في استعمال اللفظة ووضعها فهي لا تترادف مع أختها، بل لكل لفظة موقعها في السياق، ووظيفتها التي تؤديها غيرها بالدقة، وهذا ما نقف عليه في مثل قوله :[1]

ويلتف ساقٌ بساق، فنصبو فيغمرنا ملتقى الفكر نصحا. [2]

حيث تأثر في هذا البيت بقوله تعالى "والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق" سورة القيامة الأية 29.

وقوله أيضا:

وفي قدس جناتنا الناضرة وجوه إلى ربها ناظرة[3]

نجد في قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " سورة القيامة الأية 22-23

وقال أيضا:

وذوب العراجن في صدرها على لحن جدولها السلسبيل[4]

متأثرا بقوله تعالى:"عينا فيها تسمى سلسبيلا" سورة الإنسان الأية 18.

كما نقتطف مقاطع دالة من ديوان "اللهب المقدس"، حيث أول قصيدة يفتتح بها الشاعر هي قصيدة "الذبيح الصاعد" حيث يقول: [5]

قام يختال كالمسيح وئيـــــــدا يتهادى شوان، يتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملائك أو كالطـ ـفل، يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه، جلالا وتيـــــــها رافعا رأسه، يناجي الخلـودا

رافلا في خلاخل، زغردت تـم لأ من لحنها الفضاء البـــعيدا[6]

(1) حواس بري، شعر مفدي زكريا-دراسة و تقويم- ،ص231.

(2) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص26.

(3) نفسه، ص46.

(4) نفسه، ص75.

(5) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة، ص233.

(6) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص17.

وفي هذا الديوان وجدنا مفدي يرتكز على اللفظة القوية و الكلمة الثورية، وحتى تجد لها صدى في نفوس من يحفزهم على الجهاد و يعضهم على الدفاع عن الوطن، ومن ذلك قوله في الذكرى الرابعة لثورة نوفمبر الخالدة: [1]

هذا نوفمبـر قـم وحي المدفعـا و أذكر جهادك و السنينا الأربعا
وأقرأ كتابك للأنام مفـــــــصلا تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا
وأصدع بثورتك الزمان و أهله وأقرع بدولتك الورى و المجمعا
وأعقد لحقك في الملاحم نـــــدوة يقف السلاح بها خطيبا مصقعا[2]

إختيار الشاعر لحرف (العين) روياً لقصيدته شاهد على أن الشاعر يعتمد على الألفاظ القوية، وحرف العين أغور حرف من حيث المخرج وأشد أثراً من حيث الوقع و التأثير، ونحسب أن هذا الإختيار قد وفق فيه الشاعر مادام الموقف يقتضي القوة، فإنه مع الحالة هاته إختار لقصيدته ما يناسبها من كلمات قوية[3].

نجد الشاعر في لغته الشعرية وجدانياً، فالتيار الوجداني هو السبيل للوصـول إلى العواطف [4]، إذ لا يتقيد الشاعر بالمواصفات و القوالب التقليدية المعروفة عند التقليديين المحافظين، فهو متمرد على القيود و القواعد اللغوية المتوارثة، وكذا الألفاظ و التراكيب ذات المعاني الذهنية المألوفة، فحين يقول الشاعر:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوات، يتلو النشيدا

فإننا نجد في تشبيهه هذا تمرداً على القوالب التقليدية، فهو يشبه الشهيد بالمسيح "عيسى عليه السلام" وهو يتقدم ليصُلب، ومثل هذا التشبيه يَعزف التقليديون عن إستعماله، ليس عزوفا عن شخص "عيسى عليه السلام" إنما إبتعاداً عن توظيف ما يتعلق بالمسيحية، وهي ديانة حبها الإسلام.

(1) حواس بري، شعر مفدي زكرريا -دراسة و تقويم-، ص244.

(2) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص51.

(3) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة، ص 218.

(4) نفسه، ص220.

كما أننا نجد اللغة الشعرية في قصيدته لغة هامسة تتصاعد في نغم هادئ حزين فتشعر بأن كل لفظة من الألفاظ القصيدة تتفجر من أعماق الشاعر لتصف هذا المشهد المريع[1]، نلاحظ ميل الشعراء الوجدانيين إلى اللغة الشعرية الموحية القوية، كان يهدف إلى قوة التأثير على المتلقي ودفعهم دفعا إلى السلوك المرجو و المطلوب، ذلك ما تحقق مع أشعاره، والتي كانت وقوداً أجج نار الثورة، وإستنهض الهمم[2].

كما نجد شاعرنا لم يقتصر على كتابة الشعر العمودي، بل كذلك مال إلى التجديد الرصين- على حد تعبيره- و افرغ من خلاله شحناته و إنفعالاته في لغة جديدة وألفاظ متناغمة، ومن قصائد التفعيلة للشاعر قصيدة (أنا ثائر) [3]

حيث يقول:

في الحنايا

وسواد الليل قائم

مالت الأكوان سكرى

ثملات

أودعتها مهجة الأقدار سرا

في الزوايا

بين سهران و نائم

ونجوم الليل حيرى

حالمات[4].

(1) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة ، ص220.

(2) نفسه، ص225.

(3) نفسه، ص223.

(4) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص107.

فحين نقرأ القصيدة كاملة نجد التماسك الذي شكلته اللغة الشعرية المحكمة، فكأننا نقرأ قصة تتدرج من المقدمة إلى العرض بالخاتمة، لتشكل اللغة الشعرية في النهاية دورة شعرية متناسقة وواضحة[1].

فاللغة التي يصطنعها مفدي زكريا لا تنتمي إلى اللغة الشعرية التي نجدها لدى الشعراء الجزائريين من الجيل الجديد، في عهد الاستقلال، حيث هذه اللغة غالبا ما تكون منحلة فقيرة، بل أن مفدي، كما يبدو ذلك من خلال تعامله اللغوي، متحكم في لغته الشعرية كيف يشاء .[2]

وما دام ارتباط اللغة بالأسلوب كضرورة الروح للجسد، لذلك رأينا من الضروري أن لا يكون الحديث عن الأسلوب بمعزل عن لغة الشاعر.

فاللغة ظاهرة أسلوبية عند الشاعر، و الشاعر الأصيل هو الذي يستطيع أن يتعامل مع اللغة تعاملا متطورا.....، لأن الشاعر الذي لا يضيف إلى اللغة معنى جديد من خلال تعامله مع الألفاظ اللغة في معاجمها، لا يكون قد ساهم بشاعريته في توليد المعاني وما دام الأمر كذلك فإننا نحاول أن نصف شاعرنا من خلال الوقوف على خصائص لغته الشعرية.

إلى جانب شيوع اللفظ القرآني، تميزت بالدقة، حيث أن الشاعر يستعمل لكل مقام ما يليق به من المقال الذي يفرضه اللفظ و يحدد مساره، ومن ذلك قوله: [3]

تبارك ليلك الميمون نجـــما وجـــل جلاله هتك الحجابا
زكت وثيابـه عن ألف شهر قضاها الشعب يلتحق السرابا
تجلى ضاحك القسمات تحكي كواكبـــه قنـــابله لهابـــــــا
بناشئه هنـــاك أشـد وطـــأ و أقـــــوم منطقا و أحد نابا
مضت كالشهب و انحدرت شظايا تلهب في دجنتها التهابا
وبرزت الجزائر، قاصرات فرحن يحضن للموت العبابا

(1) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة، ص 225.

(2) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ص446.

(3) حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة وتقويم-، ص333.

يعلعل، من (شلعلع)، وبيان فانطلق فوق (جرجرة) الحجابا
جهاد، دوخ الدنيا، وألقى (هنالك) في سياستها اضطرابا
وزلزل من صياصيها فرنسا وأوقع في حكـــومتها انقلاـــبا[1]

قد أعطى الشاعر في الأبيات من الألفاظ ما يليق بعظمة الثورة، وبما يناسبها من ألفاظ تشيع فيها القوة كقوله: جرجرة الجحابا- ولعلع من شلعلع، جل جلاله، زلزل الرصاص...وقوله يصف المجاهدين ويدل على تفانيهم في المبدأ الذي أمنوا به من ألفاظ القوة و عبارات التحدي[2] حيث يقول:

نزلـــــنا من معاقلنا صـــــقو وصلنا في الوغى أسدا غضابا
وفي استقلالنا متنا كراما وبلغـــــنا الرسالة من تغـــــابي
وقبّلنا من التاريخ وجها وجـددنا لهيــكله إهابـــــــا
وجئنا بالخوارق معجزات فلم تترك لناكرنا ارتيابا[3]

فالألفاظ المختارة تدل على القوة و التحدي، كالصقر، و الأسد وهما رمزان للقوة و العظمة، وبلغنا، وقبلنا، وجددنا ،وجئنا بالخوارق[4].

يقول أيضا:

هذا (نفمبر)، قم أوحي المدفع وأذكر جهادك ..... و السنين الأربعا
وأقرأ كتابـــــك، للأنام مفصـــــلا تقرأ به الدنيا الحديث الأروى
وأصـــــــــدع بثورتك الزمان و أهله وإقرع بدولتك الورى و المجمعا
وأعقـــــــد لحقك في الملاحم ندوة يقف السلاح بحما خطيبا مصتهـــا[5]

(1) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص33.
(2) حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة وتقويم- ص334.
(3) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص40.
(4) حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة وتقويم-، ص335.
(5) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص51.

فقد اتكأ الشاعر على الألفاظ القوية و العبارات المتفجرة وقد أدت دورها في سياق القصيدة، فهذه المواقف تتطلب اللفظة القوية وتستدعي الكلمة الثائرة ومن ثم فإن الشاعر قد عبر عن الموقف بما يناسبه من ألفاظ[1]

ويقول أيضا:

عصيتك علما بأنك تعفو على المسرفين فهانت خطوبي
ولولا صفاتك رب غفور رحيم لضاقت على دروبي
وأكد فعل الصفات العصاة فأكد فضلك ستر العيوب
وإن أنا لم أعصي أهلكتني وأبدلتني بلعوب طروب
فيارب ماحيلتي في الهوى وفيك إذا لم تكفر ذنوبي [2]

لقد اختار الشاعر من الألفاظ ما يليق بالموقف وبما يتماشى و مقام التوبة من الذنب و محاولة التقرب من الله تعالى.... و بما يليق بالله تعالى من رحمة وعفو، وبما يؤكد ضعف البشر من تقصير و خطأ وكل هذا يتجلى في اختيار الشاعر الدقيق للألفاظ و الكلمات التي يتطلبها الأدب مع الله تعالى وتؤكده التوبة الصادقة ممن يريد أن يعفو عنه خالقه سبحانه و تعالى وكما رأينا فإن الشاعر كان دقيق في اختيار اللفظة لما يوافق الحدث ولم تمنعها الدقة من أن تكون موحية. [3] فهو ينتقي الكلمة المناسبة و المعبرة عن انعكاس مصادر الانفعال حتى تؤدي بأمانة الظاهرة المأساوية بصدق و دقة، فالكلمة الدالة على الحدث تبرز وتوضح صور معاناة عند الشاعر، و تظهر قدراته وزاده اللغوي.[4]

(1) حواس بري، شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم-، ص335.

(2) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص114.

(3) حواس بري، شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم-، ص340.

(4) سي مرابط علي، البنى الأسلوبية في قصيدة الثورة الجزائرية للشاعر مفدي زكريا ، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص17.

2-الموسيـــــقى:

تستوجب دراسة البنية الإيقاعية التمييز بين الإيقاعين الخارجي والداخلي، ولا ريب أن موسيقى العشر ناتجة من نماذج هذين الإيقاعين.[1]

أ- الموسيقى الخارجية (الإيقاع الخارجي):

الموسيقى هي أحدى العناصر المهمة في تمييز الشعر عن غيره من الفنون الأخرى من الأجناس الأدبية "وإن كان في الشعر عنصر قار لابد من الانطلاق منه والرجوع إليه فإنما هو عنصر الموسيقى" [2]، فالإيقاع الخارجي متعلق بالمباني ويشمل التشكيلات السمعية المتمثلة في الوزن و القافية، و الواقع أن الوزن والقافية يمثلان عنصران مهمان من عناصر الفن الشعري و مقوماً أصيلاً من مقوماته الفنية التي تميزه عما عداه من فنون القول الأخرى وبخاصته فن النثر، فهو البنية العروضية التي تأسس عليها الشعر العربي والتي خطاها قناع الشعراء أشعارهم ، وفي بنية ضبطت بعلم العروض الذي هو "ميزان الشعر بها يعرف صحيحة من مكسورة"، فقد اهتم العرب منذ القديم بالإطار الخارجي للقصيدة اهتماما كبيرا .[3]

وعندما استقصينا شعر مفدي زكريا تبين لنا أن الشاعر كان يلتجئ إلى التنويع في قواف القصيدة الواحدة، وهذا التنويع مرتبط بالحدث و المناسبة ومن ذلك قصيدته التي نظمها عندما فجرت فرنسا القنبلة الذرية في الصحراء الجزائرية سنة 1956م[4] حيث يقول:

ما دهاه؟ ويل أمه مادهاه ويلتاه من جيله ويلتاه؟
ماله في الحياة يولد أعمى لم تر الكون باسما مقلتاه؟
ماله مقعدا يدحرج رجلـ يه، وماذا جنى فشلت يداه؟ [5]

(1) خميس رضا،خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، جامعة أحمد بن بلة، هران، ص 57.
(2) حواس بري، شعر مفدي زكريا- دراسة وتقويم-،ص276.
(3) خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الحديث، ص57.
(4) حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم-، ص277.
(5) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 139.

فقد جاءت الأبيات حافلة بحرف (الهاء) وهو من الحروف الجوفية يخرج دون عناء، وعليه بني الشاعر القصيدة، و القافية في هذه الأبيات إنسيابية.

أما المقطع الثاني من القصيدة، فجاءت القافية موصولة بحرف (الألف) متبوعة بدخيل، و(العين) روياً للقصيدة ، وهو صوت حلقي له وقعه المجلجل: [1]

قذفته إلى الحياة يد المو ت فلم يقض في الحياة ربيعا

وسقته السموم، في عالم الغيـ ب، فرنسا.....فجاء شكلا مريعا

تخذت منه (للتجارب) قربا با، فرنسا فحطمته رضيعا [2]

أما في المقطع الثالث، فجاءت القافية مسبوقة بحرف تأسيس، وموصولة (بالألف) وهي قافية مطلقة رويها حرف (الراء)، يقول:

شبح كالخيال لم يك بالعـ ـي، فيرجى ولم يمت فيوارى

عاش حيران في عذاب وبؤس بين قوم معذبين حيارى

ظل يسعى إلى الغناء رويدا يائسا لا يغالب الأقدار

وختم قصيدته بمقطوعة مقيدة القافية، يقـــول:

شعب أفريقيا أحاط به المكـ ر فأمسى للمجرمين ضحية

ورمته عبر القرون فرنسا طعمة القنابل الذرية

وسرى الموت فيه، جيلا فجيلا يوم هزت شعوبه الحيوية [3]

فقد كان مفدي- دائما- يكره الرتابة التي يدها في القصيدة الموحدة القافية، ولذلك وجدناه بين الحين و الأخر ينوع في القوافي. [4]

(1)حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة وتقويم-، ص278.

(2) مفدي زكريا،، اللهب المقدس، ص139.

(3) نفسه ، ص141.

(4) حواس بري، شعر مفدي زكريا- دراسة وتقويم-، ص280.

كما إننا نجد في قصيدتي (الذبيح الصاعد) و (زنزانة العذاب) قد استعمل في كليهما روياً يناقض ما فيهما من مأساة وحزن، (الدال) و (القاف)، إن استعمال هذين الحرفين لدليل على الإرادة و القوة و الانفجار في وجه العدو، وعدم الرضوخ لإرادته، فالشاعر لا يرغب في أن يتسم بالحز ن و الخضوع رغم هول الموقف، فهو يعرف ألا رأفة سيجلبها الضعف و الهوان و الخنوع. (1)

حيث يقول:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان ، يتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملائك أو كالط فل، يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه ، جلالا وتيها رافعا رأسه ، يفاجي الخلودا (2)

نجد الروي (الدال) المشبعة بألف المد على أنه مفتاح ليفتح الأبواب المغلقة، وخاصة وهو يتحرك بالفتح المشبع ليكون بمثابة الجرس الذي يقرع أذان المستدمر، و يكسر جدار الصمت المخيم على العدو الفرنسي لعدم سماعه صوت الشعب الجزائري.(3) تباينت المقاطع الصوتية الهادئة والحادة في هذه القصيدة، نجد الهادئة في البيت الأول إلى غاية البيت الثالث، أما المقطع الحاد فيظهر جليا في البيت الأتي:

أشنقوني فلست أخشى حبالا و أصلبوني فلست أخشى حديدا

الذي يوحي بالنبرة الحادة و القوية كالسيل الجارف للمستعمر الغاشم. (4)

نقف أيضا عند الملحمة.....حيث جعل لكل مقطع هو اللازمة، وهذا ما سنلحظه في الملحمة التي تشهد على تنوع القوافي.(5)

---

(1) مسعودي رمضان، مجلة الذاكرة، ص224.

(2) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص17.

(3) عيسى العزري، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا، جامعة الشلف، الجزائر، ص3.

(4) نفسه، ص4.

(5) حسن فتح الباب، مفدي زكريا الثورة الجزائرية، ص58.

يقول:

أمانا، من الخطر الداهم ومن معول قاص هادم
غزا المذهبيون عقل الشبا ب، بمستورد وأفن أثم
وزاغوا بهم، دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسالم [1]

شغلنا الورى، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

نفسخ هذا الشباب وماعا وخرب أخلاقه و تدعى
فويل الجزائر و المسلمين إذا دنس الشيء هذي الطباعا
وكيف يوسوس البلاد غبي بليد أضاع الضمير فضاعا!!؟؟ [2]

وقد التزم مفدي زكريا في هذه المقاطع جميعا برغم طول القصيدة.....مع تنويع القافية من مقطع إلى أخر [3].

(1) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص96.

(2) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص97.

(3) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص58.

ب-الموسيقى الداخلية (الإيقاع الداخلي):

إذا كانت الموسيقى الخارجية تعكس شخصية الشاعر في التجديد أو التقليد.....، فإن الموسيقى الداخلية تعكس شخصية الشاعر في داخل العمل الفني وفي سر تفوقه أو إخفاقه في تعامله مع اللغة داخل الإطار الخارجي [1] فهو يتعلق بالمعاني و يشمل التشكيلات المتصلة بالمستويات اللغوية و الصوتية [2].

أما حد الموسيقى الداخلية فهي هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا أو بين الكلمات بعضها و بعض حينا آخر [3]، وهذا معنى أن الموسيقى الداخلية في الاختيار الواعي للكلمات ودلالتها من جهة بين الألفاظ وما تحققه من إنسجام صوتي عن طريق النظم من جهة أخرى في القصيدة التي نظمها بمناسبة تفجير فرنسا للقنبلة الذرية في الصحراء الجزائرية فإننا نجد الموسيقى الداخلية أيضا هي التي تشخص الموقف النفسي للشاعر: [4]

ما دهاه؟ ويل أمه ما دهاه ويلتاه من جيله ويلتاه
ماله في الحياة،ن يولد أعمى لم تر الكون باسما مقلتاه
ماله مقعدا، يدحرج رجليـ ـه؟ وماذا جنى فشلت يداه؟
ماله لم تل تهدهده الأ م، ولم تستمع لهما أذناه؟
ماله أخرس تناجيه في المهـ ـد و لم تبتسم لهما، مقلتاه؟ [5]

عندما نقرأ هذه الأبيات نلاحظ هذا البطء، الموسيقى الذي يفرض على قارئها أن يتمهل في قراءة كلماتها تمهلاً شديداً وقد وردت (الهاء) في معظم أبيات القصيدة ناهيك

(1) حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص288.
(2) خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، ص1.
(3) حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، 288.
(4) نفسه، ص289.
(5) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص139.

أنها روي للأبيات، ومدام حرف (الهاء) حلقيا يبعث على التأوه كما هو واضح في الأبيات ومن ذلك يتأكد لنا أن الكلمة في الحقيقة الوضعية في صوت النفس. (1)

ويقول أيضا:

شبح كالخيال لم يك بالحـ يـ، فيرجى ولم يمت فيوارى
عاش حيران في عذاب و بؤس بين قوم معذبين بين حيارى
ظل يسعى إلى الفناء رويدا يائسا لا يغالب الأقدار.
طعن الداء جسمه و أحال السـ قم ذراته هباء، قطارا (2)

فقد أطال الشاعر في أصوات اللين ليلاءم بين الموسيقى و المعنى، أو بين الأصوات و الكلمات ملائمة تساعده على توفير هذا الجو الموسيقى الذي يشارك في توصيل المعنى لان العنصر الموسيقي له علاقة بالإيحاء و التصوير، لان الموسيقى طريق للسمو بالأرواح و التعبير عما يعجز التعبير عنه.

ولعل الميزة التي تستطيع من خلالها التعرف على صوت الشاعر العاطفي وزيفه هي الموسيقى الداخلية. (3)

فتتصل بما يراعيه الشاعر في تدفقاته التعبيرية من قصد في تكرار حروف و أصوات معينة، أو ترديد لكلمات ، ومنه نجد:

1-الترصيع:

وهو تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد من التصويت ومن أمثلة ذلك قوله:

سيان عندي مفتوح ومنغلق يا سجن يابك أم شدت به الحلق (4)

وكذلك مطلع قصيدته بعنوان "وتعطلت لغة الكلام" حيث يقول:

نطق الرصاص، فما يباح الكلام وجرى القصاص فيما يتاح ملام

قد منح تشكيلا إيقاعيا داخلي عجيب. (1)

---

(1) حواس بري، شعر مفدي زكريا - دراسة وتقويم-، ص292.

(2) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص162.

(3)حواس بري، شعر مفدي زكريا - دراسة وتقويم-، ص294.

(4)خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، ص2.

ويقول في مطلع قصيدته "سنثأر للشعب":

سلوا مهجة الأقدار....هل جرسها دقا؟ وهل خاطر الظلماء، عن سررها انشقا

2- تكرار الصيغة:

هو أن يأتي الشاعر بصيغة محددة من صيغ الكلام في بداية الشطر الأول من البيت، ويأتي بالصيغة نفسها في الشطر الثاني[2] ومن أمثلة ذلك قوله:

فكم هتكنا بها الأســـــــــتار وكم غزونا بها في الغيب أكونا

وكم جلونا بها الأسرار مبهمة وكم أقمـنا به للـــعد مـــــيزانا

وكم صرعنا بها في الأرض طاغية وكم رجمـنا بها في الأنس شيطانا

وكم حصدنا بها الأصنام شاخصة وكم بعثنا من الأصنام إنسانا[3]

حيث نميز تكرارات متتالية بصيغة محددة في بداية كل شطر، إذ تكررت (كم) الخبرية ثمانية مرات متتالية، تلتها أفعال ماضية متصلة بضمير الجماعة (أنا) وهذه الصيغ المتوافقة و المتوازية إيقاعيا أضفت جمالا موسيقيا جعلت الإحساس يتدفق مواكبا لتدفقات النغم المعبر عن روح النضال المتجذرة في نفوس الشعب الجزائري. [4]

ويعمد الشاعر إلى تكرار سيمة مركبة بعينها في أوائل أبيات متوالية تحدث إيقاعاً داخلياً عجيباً، كما نلاحظ ذلك في قصيدة "وقال الله...." [5]، حيث يقول:

وفي صحرائنا جنات عدن بها تنساب ثروتنا انسيابا

وفي صحرائنا الكبرى كنوز نطارد عن مواقعها الغرابا

وفي صحرائنا تبر و تمر كلا الذهبين راق بها و طابا

وفي صحرائنا شعر و سحر كلا الملكين حطا بها الركابا

---

(1)عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزاء، ص441.

(2) خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، ص5.

(3) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 245

(4) خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، ص5.

(5)عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ص451

وفي صحرائنا أدب وعلم زكا بما المثقف و استطابا

وفي صحرائنا ظل ظليل تفور به نواعرها حبابا [1]

حيث أن الإيقاع قام على تكرار رسمات متماثلة لا متجانسة[2]

ونقف على هذه الخاصية في قصيدته (إلى الريفيين) حيث يقولك:

أما بالتفرق لا سمح اللـ ـه أصبح دين الهدى محتضر

أما بالتفرق لا سمح اللـ ـه أضحى لو المصطفى يحتقر

أما بالتفرق لا سمح اللـ ـه عـــــــقد الهنا مندثر

ومنها التكرار الذي يعد معلما من معالم هذا الانعكاس في شعره، وتحسب أن تكرار (الكلمة) و أداة لم يأُت بها الشاعر إلا لتوكيد معنى أو للتركيز على قضية يرى الشاعر أنها أحق بالأهمية و أنها جديرة بالاهتمام. [3]

3-إيقاع المتخالف:

من مظاهره التي تم رصدها:

3-1- المقابلة:

هي أن بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على التركيب، و المقابلة على هذا تصبح أساسا من أسس التفكير و التعبير الإنساني و ليس زخرفا من القول أو زينة يمكن الاستغناء عنها، لذلك شأن الإيقاع التقابلي أن يسهم في إيضاح المعنى و إثارة انتباه المتلقي، كما هو الحال في قول شاعرنا: [4]

أمن العدل صاحب الدار يشقى ودخيل بها يعيش سعيدا

ويجوع ابنها فيعدم قوتا وينال الدخيل عيشا رغيدا

ويبيح المستعمر حماها و يظل ابنها طريدا شديدا [5]

(1) مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 35.

(2)عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ص451

(3)حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص254.

(4)خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث، ص7.

(5)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 22.

فالخطاب يحمل القارئ على عقد علاقة بين التراكيب المتجاورة في السياق و المتعارضة في المعنى على سبيل التركيب مدركا أن للشاعر غاية في ذلك تتمثل في نقل مشهد المفارقة بين وضعية الشعب الجزائري ووضعية المستعمر، وبهذا تتحرر الدلالة ي الخطاب بتعالق هذه التراكيب المتقابلة معنويا و المتجاورة إيقاعيا. [1]

3-2- الإيقاع البصري (الفراغ المنقط):

وهو شبيه الحد بعيد بلحظات الصمت في التقاسيم الموسيقية العربية فهذه اللحظات تمر على الصوت، وهو يرتاح ضمن نغمية الدلالة و حركيتها، و يستقر في باطنها، وعليه فإن قراءة النص تضعنا إزاء فاعلتين :

قراءة الدلالة في سطح النص، وقراءة النواة الدلالية أي في حالة الصمت وهي قراءة العمق و الهدف ومنه قوله في قصيدة (فلا عز حق تستقل الجزائر):

مددنا خيوط الفجر... قم تصنع الفجرا ووضعنا كتاب البعث....قم نشر السفرا [2]

وهكذا يرى القارئ التشتت و الانفصال في الإيقاع فالفراغ المنقط الذي يطبع تركيب الشطرين يمثل مسكوتا عنه ذا دلالة جوهرية تعبر عن أبعاد اعتزاز الذات المتكلمة بأمجادها، تاركة مجالاً زمنياً للمخاطب كي يجيب، ثم تأمره (قم) لتعيد إخباره دون أن تتلقى رداً ثم تأمره من جديد[3].

ولاشك أن هذا الفراغ المنقط لم يكن عبثاً، فعنده يتوقف الإيقاع، ومنه ينطلق من جديد صانعاً نغمًا ذا طبيعة خاصة، حيث يشكل بدوره حضوراً جمالياً ودلالياً أحال على عذابات المسير في طريق البحث عن المفقود، ومنه أيضا قوله في قصيدة (أنا ثائر) [4]

---

(1)خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري ، ص7.

(2) نفسه، ص9.

(3)نفسه، ص10.

(4) نفسه، ص11.

وينادي.... فتناجيه البنادق

في الشواهق

عاصفات

يا بلادي.....فتناغيه الصواعق

بالمواحق

سارخات

فوق هامات الجبابر[1]

ولعل الشاعر تعمد هذه الوقفة ليجعل المتلقي يركز انتباهه على عبارة النداء و بذلك ينقلنا هذا الإيقاع البصري من الصمت إلى الحركة، أي من الصمت إلى السماع في حيوية تستدعي التأمل في عمق التجربة النضالية المنصهرة في أتون ثورة التحرير بكل ما تحمله من تصدر ومواجهة وعنف. [2]

عناية مفدي بموسيقى شعره جعلته (بالنفس الحماسي و نبر تركيبها الصارخ) يعني بلغته، فجاءت سلسلة سهلة ناصعة مع جزالة وفخامة تثير بدوي كلماتها المشحونة بالنفس الحماسي و نبر تركيبها الصارخ الصاخب إيقاعاً رناناً يلحم بين التجربة و التعبير . [3]

ولعلنا بهذا نكون قد بينا نجاح الشاعر في جمعه بين الموسيقى الخارجية المتمثلة في الإطار الموسيقى، و الداخلية التي تكشف عنها الأساليب الإنشائية تارة و أخرى تتجلى في تكرار حروف... حتى يحدث تكرارها أصواتا و إيقاعات موسيقية خاصا.[4]

(1)مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 108.

(2)خميس رضا، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري ، ص12.

(3)حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص298.

(4)نفسه، ص300.

3-الصورة الشعرية :

تعد الصورة الشعرية إحدى الدعائم الأساسية التي يعرف بها الشعر بعد الإيقاع و لأهميتها في العمل الشعري [1]. حيث تعتبر مقوماً أساسياً من مقومات الإبداع الشعري فهي تقرب حقيقتين متباعدتين ، و ينبغي على المتلقي أن ينظر إلى موقع هذا الجمع في السياق العام ، و ما يمكن لهذه الجديدة المتحدثة أن تولده من إيحاءات و مدلولات . فإنها جوهر القصيدة كلهـا، من حيث كونها تتعدى المحسوس إلى الحدس، فـي ارتباط أشكـال هذه الأجواء بالأجواء النفسية الكامنة في ذات المبدع، و هنا يؤدي الخيال دوره في حقل التجربة الشعرية التي تصاحب الحدث[2]، كما يسعى بوصفها رسماً قوام الكلمات إلى توطيد دعائم الرؤية، و توكيدها جمالياً في محاولة لخلق إطار فني مواز للقضية [3]. و مما لاشك فيه أن الصورة ترتكز على الرابط الوجداني – الإنفعال- من هنا كانت الصورة الفنية تركيبية وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الوجود.[4]

حيث يسعى الشاعر في بنائه النصي إلى توظيف مجموعة من البناءات المجازية ، تتمثل في ضربين من المجاز و هما : التشبيه التمثيلي و الإستعارة المكنية. [5]

أ. التشبيه التمثيلي :

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوات يتلو النشيدا

شامخا أنفه جلال وتيدا رافعا رأسه يناجي الخلودا [6]

(1) حواس بري، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم -، ص 300.

(2) جغدم الحاج، جمالية الصورة في شعر مفدي زكريا قصيدة الذبيح الصاعد أنموذجا ، جامعة الشلف، ص 1.

(3) عيسى العزري، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا ، جامعة الشلف ، ص6.

(4)جغدم الحاج، جمالية الصورة في شعر مفدي زكريا قصيدة الذبيح الصاعد أنموذجا، ص 3

(5)عيسى العزري، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا ، ص7.

(6)مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 17.

فمدار الأمر فيه أن هذا الصنف يقدم تركيباً لغويًا متماسكاً للصورة الشبيهة مكونا مجموعة من الجمل، كل جملة فيها تضيف عنصرا جديدا، و صفة متميزة تكتمل مع بعضها و تحقق أطراف الصورة و جوانبها بأحكام و دقة، و توافق الصفات و التئامها ضمن نظام خاص.

فقد شبه الشاعر البطل و هو على منصة الإعدام العالية بالروح التي تسمو إلى السماء في ليلة القدر، و بالمؤذن الذي يصعد إلى سارية المسجد ليدعو إلى الصلاة بالمسيح – عليه السلام ، و هو المشبه به ، زعم اليهود قتله ، و كلمة الشبه الكاف، ووجه الشبه منتزع من متعدد من عدة أشياء و هي الفرح بعد تلاوة النشيد، و ابتسامة الشعر، و طهارة الملائكة، و براءة الطفل ،ثم تليها فترة الإدراك المتمثلة بأن الحال المختل آيل إلى الزوال، لأنه لا يمثل إلى حالة مؤقتة في خطوة من شأنها أن تحقق من قيود الواقع على صدر الصورة الشعريــة. [1]

و مثلما عقد مقارنة بينه و بين المسيح في السمو إلى السماء، قارنه أيضا بالنبي موسى الذي كلم الله، فقال: إن المجد قد دعاه فاعتلى حبال المقصلة، و امتطى مزيج البطولة والفداء، و طار به جبريل عليه السلام إلـى جنات عدن التي وعد بها المتقون . [2]

ب. الاستعارة المكنية :

و هي حالة بلاغية متقدمة على التشبيه التمثيلي تكمن في قوله:

رافلاً في خلاخل ،زغردت تمـ لأ من لحنها الفضاء البعيدا

إذ يتم فيها إظهار صورة المشبه به المرتبطة بالأنا الشاعرة مكبل في سلاسل ذهبية و إظهار صورة المشبه المحذوف مشروطا بمحاولة القارئ استنتاج الصورة المظهرة بنفسه من خلال سياقات النص و قارئه و قد تمثلت الاستعارة المكنية في البنى الثلاث المتتالية و هي "الخلاخل" و هي ما تتزين به المرأة العربية في الأرجل ، و الفعل "زغردت" من خاصية النساء و الرنة التي تملأ فضاء الجزائريين استعدادا لجمع المواطنين حول كلمة "أحمد زبانا" .إن خذه البناءات البلاغية الثلاثة لتشير إلى رؤية

(1)عيسى العزري ، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا ، ص7.

(2)حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، ص 41.

رغبة في استحضارا لبناء المعارف لتكريس المقارنة في ذهن القارئ لعلها تسهم في استقطاب القارئ إلى جانب موقف الشهيد .

و يقول أيضا :

واقف يا موت في ما أنت قاض [1]

نعيش من خلال الصورة الجديدة مشهدا من مشاهد المحاكمة الجائرة بين الحق و الباطل ، فالقاضي هو الموت و الجاني هو الشهيد ، حيث نجد أن المشبه به هو الموت ، و أن المشبه به الحاكم الجائر ، فحذف المشبه به و أبقى على ما يحيل عليه على أنها استعارة مكنية . [2]

ج. الطبيـــعة :

نشير إلى أن العاطفة و الخيال يلعبان دورهما الخطير في تكوين الصورة الشعرية لأن عناصر الطبيعة صامتة أو ناطقة ليس لها على هذا النحو خصائص ذاته تعد من لوازمها فيوجدها أو ينطقها، أو يبصرها، إيجاداً له معنى، و انطلاقاً له و إبصاراً رامزاً.[3]

يصف الشاعر الطبيعة الجزائرية مصوراً سلاسل جبالها و أهمها جبال الأطلس و جبال جرجرة و الأوراس التي أطلق اسمها على ثورة الجزائر ، قسمين ثورة الأوراس[4].

يقول:

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعالى يشد السما بالثرى

تلوة وجه الســـــــــماء به فـــــأصبح أزرقا أخضرا

و تجثو الثلوج على قدميه تحشو فتسخر منها الذرى

هو الأطلس الأزلي الذي قضى العمر يصنع أسد السرى

(1)عيسى العزري ، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا ، ص8.

(2)نفسه، ص 10.

(3)حواس بري ، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم- ، ص 307.

(4) حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، ص 64

و تسمو بأوراس أمجاده فتصدع في الكون هذا الـــورى [1]

و مثل هذا الأثر الذي يحدثه الشاعر بما يضيفه على الطبيعة من شعور متدفق و إحساس مرهف حتى تعد و تتحرك كالإنسان [2] تجده في قوله:

نسابق الشمس نغزوها بزورقنا فيسخر الموج من كيف نلتحق

و تغرب الشمس تطوى في ملاءتها سرين أشفق أن يشفيهما الشفق [3]

فقد جعل الشاعر من الطبيعة الصامتة طبيعة ناطقة لها ما للإنسان من نوازع إنسانية .و من هنا يتجلى دور الخيال في إثراء الصورة و دور العاطفة في شحنها و حركتها .

و إذا استطاع مفدي – بخياله – أن يثبت في الطبيعة الحركة و الحياة فإنه بالمقابل وقف أمام مشاهدها مشدوها لا تتحرك له عاطفة و لا يجنح له خيال فالبرغم من جمال الطبيعة التي عرفتها الجزائر .

و يشهد لها الشاعر بذلك، لأنه لم يضف على بعض صورة الشعرية من خياله و عواطفه و أحاسيسه و بقي مشدوها يصف و لا يحرك.[4]

فقال :

جزائريا مطلع المعجزات و يا حجة الله في الكائنات

و يا لوحة في سجل الخلود تموج بها الصور الحالمات

و يا بسمة الرب في أرضه و يا وجهة الضاحك القسمات

و يا قصة بث فيها الوجود معاني السمو بروع الحياة

و يا صفحة خط فيها البقا بنار و نور، جهاد الأجاة [5]

(1) مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ص 24.

(2)حواس بري ، شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم- ، ص 308.

(3)مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ص 26.

(4)حواس بري ، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم -، ص308.

(5)مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ص 19.

فقد نقل لنا الشاعر ما تميزت به الجزائر من جمال طبيعتها و عمم ذلك دون أن يحصر عدسته اللاقطة في ناوية معينة أو منطقة بعينها و قد عدد جمال الجزائر ، و أحاط به من جوانب عديدة فهي مطلع المعجزات ، و آية من آيات الله ، و من ثم فهي لوحة في سجل الخلود ، و قصة في تاريخ البشرية و صفحة كتبت بأحرف من نار و نور لتظل طول الزمن شاهدة على بطولة الشعب الجزائري . [1]

و قبل هذا فهي أسطورة عبر التاريخ ، ذكرياتها تحفز الشاعر و تهيج مشاعره حتى تجود قريحته شعرا. قد تبين لنا أن الشاعر في الأبيات السابقة ،قد اتكأ على التاريخ في صوره ، لأنه قدمه في ثوب بارز ليس فيه قدر من حرارة العاطفة و لاحظ فيه للخيال.

و إذا أراد مفدي أن ينتقل لنا مشاهد من الثورة الجزائرية فإنه لا يجد أحسن من المشهد الدامي : [2]

و الشعب يسبح للعليا على دمه و للتبرع بالأرواح يستبق

لم يثنه دون إدراك المنى رهق و إن هم أحرقوا بالنار أو شنقوا [3]

فإذا اعتاد الناس السباحة على الشواطئ ، فإن الشعب الجزائري تعلم كيف يسبح على دمه، و إذا كان التبرع بالأموال ، فإن الشعب تبرع بالأرواح .

فقد تولت الصورة الشعرية موقفا عظيما من مواقف الشعب الجزائري في ثورته: إنه يسبح على دمائه من أجل كرامته و حريته كما أنه ليس فقط يضحى بالأرواح بل يتبرع بها تبرع من يجد في تلك الممارسة و الإقبال على ذلك الضيع لذة. [4]

و يقول أيضا :

---

(1)حواس بري ، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم- ، ص 309.

(2)نفسه، 310.

(3)مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، 29.

(4)حواس بري ، شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم- ، ص 311.

عزفته النجوم للكون لحنا فكس الكون روعة و جمالا
زرعته الأشلاء في الحقل زهرا غمر الأرض فتنة و جمالا
سكبته روح الفدائي عطرا ضمخ السهل و الربى و الجبالا

أو فدته إلى العصور رسولا ثورة الحق تلهم الأجيالا [1]

فقد استطاع مفدي أن يجتذبنا إليه عن طريق الجمع بين المتباعدات التي أخذتها ، و ذلك لأن موضع الاستحسان و المثير للدفين نجده متوافرا فيها ، إذ من الارتياح أننا نرى الشيئين مثلين متباعدين ، و مؤتلفين مختلفين (سكبته روح الفدائي عطرا) و نرى الصورة الواحدة في السماء و الأرض .(عرفته النجوم للكون لحنا) . و في خلق الإنسان و خلال الروض (زرعته الأشلاء في الحقل زهرا). و هل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر ما بعد المشرق و المغرب ، و يجمع ما بين المشئم و المعرق .

و عند هذا الحد يتبين لنا أن مفدي كان يعتمد في صوره على الطبيعة كما كان التاريخ مصدرا آخر لصوره الشعرية ، بقي أن نشير إلى مصدر آخر و هو القرآن الكريم .[2]

د. القرآن الكريم:

فهو يعد مصدر من مصادر الصورة إذ نظرنا إلى شاعر مفدي زكريا فإننا نجده ممن استفادوا من القرآن الكريم ، مما إننا لا نكاد نجد قصيدة واحدة عند مفدي زكريا لم يتضح أثر القرآن فيها ظاهرا، فهو إن لم يستغله تصويرا استغله تكبيرا و إن لم يتضح لغة معنى و ما من شك في أن القرآن الكريم كان يحتل مكانة مرموقة و مقدمته في نفس مفدي.

و قد وجد القرآن مصدرا لصورته الشعرية في مناسبة أخرى ، و هي ثورة أول نوفمبر التي غيرت مجرى التاريخ على مستوى الثورة الجزائرية ... و هنا لم يجد مفدي إلا ليلة القدر [1] فقال :

---

(1) مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 185،186.

(2)حواس بري ، شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم- ، ص 313.

دعا التاريخ ليلك فاستجابا (نوفمبر) هل وفيت لنا النصابا ؟
و هل مسمع المجيب فداء شعب فكانت ليلة القدر الجوابا؟
تبارك ليلك الميمون نجما و جل جلاله هتك الحجابا؟
زكت و ثباته عن ألف شهر قضاها الشعب يلتحق السرايا؟

تنزل روحها من كل أمر بأحرار الجزائر ،قد أهابا . [2]

فالصورة الشعرية –هنا – لم تخرج من إطار السورة الكريمة بسورة القدر التي يقول الله سبحانه و تعالى فيها : "إنا أنزلناه في ليلة القدر و ما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر"

و من ذلك هذه الصورة التي أراد التعبير من خلالها عن صلابة الثورة الجزائرية و بسالة مجاهديها ،و فقه أرآهما سواء و معجزات الأنبياء : سليمان عليه السلام و موسى و آدم و إبراهيم و محمد صلى الله عليه و سلم جميعا [3] يقول :

و ما دلنا عن موت من ظن أنه سليمان منساة على وهمها خرا
ورثنا عصا موسى ،فجدد منها حجانا فراحت تلقف النار لا السحرا
و كلم موسى الله في الطور خفية و في (الأطلس الجبار) كلمنا جهرا
و كانت لإبراهيم بردا جهنم فعلمنا في الخطب –أن نمضغ الجمرا
و آدم بالتفاح ضيع خلده و ما ريان بالتفاح نلقى بها نجرا
و حدثنا عن يوم بدر – محمد فقمنا نضاهي في جزائرينا بدرا . [4]

و هكذا يتضح لنا قصص القرآن الكريم ، و لا سيما قصص الأنبياء قد كانت مصدرا من مصادر الصورة عند مفدي زكريا ، يأخذ منها كلما عن له أن يعبر عن الظلم و الطغيان من قبل فراعنة الأرض و تحدي الثائرين لهم ، و لأساليبهم الوحشية التي حاربتها الأديان السماوية ورفضتها الإنسانية .

---

(1)نفسه، ص 314،315.

(2)مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 33.

(3)حواس بري ، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم- ، ص 317.

(4) مفدي زكريا ،اللهب المقدس ، ص 255،256.

و الصورة الشعرية التي مصدرها القرآن الكريم عند مفدي زكريا حفلت بها دواوينه و لاسيما ما يتصل بقصص الأنبياء ، فقد وجد فيها من المعجزات ما ينطلق منه الإفصاح عن الثورة الجزائرية ، كيف لا !و قد كانت مضرب المثل في البطولة و الفداء ![1]

4- التناص :

إن كل نص هو نتيجة لتفاعل مع نصوص أخرى إذ لا يمكن الحديث عن كتابة تبدأ من لا شيء فإذا كان النص الشعري – خاصة – عالم منفتح يأبى الانغلاق على نفسه بالرغم من إنشائيته و تفرده جماليا ، فإنه يبقى في حاجة إلى نصوص أخرى تثريه و تنشله من العيش في العزلة البكماء مما يولد تداخلاً نصياً . [2]

فالتناص مصطلح نقدي أطلق حديثا ، أريد بهت عالق النصوص و تقاطعها و إقامة الحوار بينهما ، و لقد حدده الباحثون كثيرون من نقاد الغرب و العرب في العصر الحديث لذلك توالدت و تواجدت له العديد من التعريفات و المفاهيم . [3]

حيث تعتبر عملية التناص من الوسائل الفنية التي يوظفها الشاعر ليبعث تراثه الحضاري من جديد إغناء النص الأدبي بمختلف الإشارات المعرفية الموحيـة التي تحدث في نفس القارئ. [4]

أ. التناص الديني (القرآني):

احتل القرآن الكريم مكانة مميزة في نفس الشاعر، فهو من أقوى المصادر التي أمدته بالتوجيهات و الإرشادات ، فهو ينبوع الثري الذي يساعده على تطوير مسيرته الشعرية و إغنائها بما اقتبسه من أساليب رفيعة .

و يعد القرآن الكريم من أغزر الروافد لغة و تصويراً و موسيقى و لم يمكن كذلك تكلفا و لا افتعالا، بل تجاوز كل ذلك ، إذ استطاع "مفدي زكريا" بموهبة الشعرية الفذة أن

(1)حواس بري ، شعر مفدي زكريا -دراسة و تقويم -، ص 319.

(2)صباح باي ،التناص في شعر مفدي زكريا الإلياذة أنموذجا ، شهادة مكملة لنيل شهادة الماستر ، إشراف الأستاذ حكيم سليمان ، تخصص أدب جزائري ، جامعة بوضياف مسيلة ،2014 .2015 ، ص 36.

(3)سعاد غربي ،فاطمة الزهرة بركة و آخرون ، التناص الأنرباجي في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس انموذجا ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس ،إشراف الأستاذة ثورية برجوج ، تخصص لغة عربية ،جامعة الوادي ،2010.2011، ص 31.

(4)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا الإلياذة أنموذجا ، ص48.

يستفيد من هذه اللغة المتميزة بموسيقاها و دلالتها الفنية، و لقد وردت الصورة الشعرية المستلهمة من القرآن الكريم بأساليب متنوعة و استخدامات متفاوتة نجده يتحدث عن "هاروت" رفيق"ماروت" و هما ملكان هبطا ببابل فعلما الناس السحر. [1]

يقول :

و يا بابل السحر من وحيها تلقب هاروت بالساحر [2]

و هذا ما أشار إليه في الآية الكريمة من خلال قوله تعالى :"و ما كفر سليمان و لكن الشياطين كفروا يعمون الناس السحر و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت " سورة البقرة الأية 102 .

و يقول أيضا :

و لن يخلف الله ميعاد و لا ريب ، ساعتنا آنية [3]

أما النص الغائب المشتغل عليه في قوله تعالى :" ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد" سورة آل عمران الآية 9. [4]

فالشاعر يعيد علينا الآية بألفاظها تقريباً ليعبر عن فكرته و عدم إخلاف الوعد ،فالشاعر يؤكد بـأن يوم النصر يعود على الأمة الجزائرية كتأكد من قيام الساعة. [5]

و يقول:

عبرنا على – سبع الشداد – نشقها و لم تثنا ، أن نعبر (العشرا)

و الشاهد في هذا (السبع الشداد) و النص السابق في الآية القرآنية بعد قول الله تعالى : "ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون" سورة يوسف الآية 48. ، حيث وظف الشاعر العبارة القرآنية بدلالة مختلة ، و جعل سبع سنوات من القحط و الجوع بدلالة سبع سنوات من الحرب و الوغى بالقرينة اللفظية (الشداد) ، و صور سنوات الحرب بالسنوات الشداد فالتناص مع القرآن و هو لا يأتي به في الغالب إلا

(1)نفسه ، ص 53.

(2)مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ص 70.

(3)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا الإلياذة أنموذجا ، ص 54.

(4)مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 79

(5)سعاد غربي ، التناص الأنرباجي في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس انموذجا ،ص 73 .

لتوظيفه في منح قيمة عظيمة لقضية عظيمة [1] و الرقي بموقف من مكانته العادية إلى مكانة عالية، بإسقاط الديني على الدنيوي. [2]

ب-التناص مع الشعر العربي القديم :

يمتلك مفدي زكريا ثقافة عميقة ، و اطلاعا واسعا على التراث الأدبي العربي و خصوصا الشعر العربي القديم ، و من الشعراء الفحول الذين تأثر بهم مفدي زكريا أمثال المتنبي ، أبي العلاء المعري ، أبو تمام .....و غيرهم من الشعراء ، فلم يحافظ مفدي زكريا على إيقاعات الشعر العربي القدم فحسب بل يعد من أبرز الشعراء العرب المحدثين الذين دافعوا عن عروض الشعر العربي و عموده و يظهر إعجابه و تأثره به خلال حضور نصوص ، و معانيه و ألفاظه في شعره. [3]

مثل : ظهور النص الشعري من بائية أبو تمام " السيف أصدق أنباء " القائل:

السّـيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه بين الجد و اللعب

في النص الشعري للشاعر مفدي زكريا حيث نظم قائلا :

السّيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإبهام

فالشاعر مفدي زكريا جلب النص عن قصد و هو يعبر فيها و متطلع عليها و استدعاها لأنه يرى فيها دلالة لمناسبة القصيدة. [4]

نجد إعجابه "بالمتنبي " هذا الشاعر العملاق ..... الذي تأثر بهم فدي و يبرز ذلك من خلال اللغة القوية و العبارات الضخمة و المبالغات التي ميزت شعره . كما يلقى الشاعران في إيمانهما المطلق قوة و فلسفة في هذه الحياة و أن أخذ الحقوق إنما يكون انتزاعا و غلبة ، و رفض إنصاف الحلول، يقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم [5]

---

(1) نفسه ، ص 50.

(2) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ، ص 463.

(3)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا إلياذة أنموذجا، ص 63.

(4)سعاد غربي ، التناص الأنرباجي في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس انموذجا ، ص49 .

(5)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا إلياذة أنموذجا، ص 66.

و يعتنق مفدي زكريا هذه الفلســــــــــــــفة فيقول:

و طالت خرافات حرب الكلام و ما بلغ الشعب فيه المرام

فأمن بالنار من عرفوها و من كاشفتهم بسر النظام !

فكانت شرارة حرب الخلا ص،و إن اخفتوها بلغوا الكلام . [1]

و يقول أيضا :

أنام ملئ عيوني غيطة و رضى على صياصيك لا هم و لا فلق

فهو متناص ، كما هو جاد مع بيت المتنبي الشهير الذي يجري مجرى المثل :

أنام ملئ جفوني عن شواردهم و سحر الخلق جراها و يختصم [2]

و هكذا فإن تأثر مفدي زكريا بالشعر العربي القديم اتخذ أساليب مختلفة ، فأحيانا يكون في شكل اقتباس و أحيانا أخرى يكون في شكل تضمين ، و بذلك تكون المصادر الأدبية التراثية منابع فكرية و أسلوبية معجمية للكثير من نصوص مفدي زكريا ، إذ أنه يعيد قراءتها و يتعانق معها بمنهجية تناصية ، تزيد من روائع بدائعه عمقا في المبنى و المعنى.[3]

ج-التناص التاريخي :

تعتبر المادة التاريخية و لاسيما التاريخ الإسلامي قديما و حديثا من أغزر المصادر التي ينقي منها الشعراء صورهم ، فالتاريخ كمادة تمثل الثقافة العربية ، و من ثم جاءت الإشارات التاريخية كثيرة في ثنايا هذا الشعر "فمفدي زكريا" هنا يستخرج من المادة التاريخية و التطورات التي شهدها "شرشال" في عهد "يوبا الثاني " و في عرش "الأمازيغ" فيقول :

سجا الليل في القصبة الراسفة فأيقظ أسرارها الغامضة

و بين الدروب ، و بين الثنايا عفاريت مائجة راكضة

و ملء سراديبها الكافرا ن ، تصاغ قراراتنا الرافضة

فيحتار بيجار في أمرها و يحسبها موجة عارضة

(1مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر، ص68.

(2)عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ص 458.

(3)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا إلياذة أنموذجا، ص 67.

و يابى على رضوخ الجبا ن ، فتسمو به روحه الفائضة

فالشاعر يصف القضية و سراديبها، فتراه يمزج بين المكان و الأحداث جرت عليها أثناء حرب التحرير، ففي القضية توفي الشهيد "علي لابوانت " الذي حاصره بيجار مع جمع من الفدائيين.[1]

راح مفدي زكريا يغرق من التاريخ العربي الإسلامي بكل سخاء متخذا من الأمجاد مادة لصورته و أبرز عمل جسد هذا الاتجاه عنده "إلياذة الجزائر" فقد تعرض في الإلياذة على أهم أحداث التاريخ الجزائري ،فهو عندما يتناول الوصف في قطر من أقطار الوطن يغوص في تاريخه البعيد، من خلال وصفه الدقيق لكل ما تمتاز به المنطقة الموصوفة من جمال طبيعي أو حضارة علمية أو ثقافة معمارية ، لذا نجده كثير الوقوف و الإشادة بهذه المراكز التي تمثل وجه الحضارة الجزائرية . [2]

كقوله :

أشرشال ....هل تذكرت يوبا؟ و من لقبوا عرشك القيصرية ؟

و يا هي بشرشال جنة عدن؟ و زان حدائقها السندسية

أما شاد يوبا بشرشال للعلم أول جامعة أثـــــــــرية [3]

كما ذكر "ابن زيان" قائد الثورة العارمة في واحة الزعاطشة فيقول :

تلقف رايتك ابن الجزائر و غدا بن زيان تبلى السرائر

كما ذكر شخصيته "ديغول " فيقول :

(ديغول) يعلم ما نريد و يفهم ما باله ، حيران لا يتكلم ؟

فقد الصراحة، أم أضاع فصاحة أم أن تقرير المصير دوم [4]

د- التناص مع الشعراء الجزائريين:

مما عاصروه نجد الشاعر قد استحضر معجزة عيسى عليه السلام – إحياء الموتى – مثل الشاعر الجزائري "محمد العيد آل خليفة" مفدي زكريا يقول عن شهر نوفمبر:

---

(1) نفسه ، ص69.

(2)صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا إلياذة أنموذجا، ص 70.

(3) مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر ص 41.

(4)سعاد غربي ، التناص الأنزيحاني في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس أنموذجا ، ص 91.

نوفمبر حدثنا عهدناك صادقا ألست الذي ألهمت أحجارنا النطقا

ألست الذي كنت المسيح بأرضنا و أشرقت من علياك تخلقا خلقا

و شبه الشاعر شهر نوفمبر بعيسى المسيح و الثورة و المعجزة و كأنما الجزائريون موتى قبل الثورة و باندلاعها و تحقيق انجازاتها أصبحوا أحياء .

و قال محمد العيد آل خليفة حاذيا حذوه في شهر "يوليو "

يا شهر يوليو أنت وافد رحمة تنزل يمن تستطيب له القرى

أنت المسيح و نحن من أحييتهم فارق السماء مقدسا و مقدرا

كذلك محمد العيد آل خليفة جعل من شهر جويلية و هو شهر الاستقلال باعث الحياة و كلا النصين حضرت فيهما المعجزة لتغيير الحال من السيء إلى الأحسن ، أي غاية التحول و ليس أقوى من تجسيد الصورة الشعرية و أجمل من استغلال معجـزة البحث. [1]

أيضا من شعراء الجزائر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" قد تداخل معه في بعض نصوصه و كشاهد نجدهما قد ذكر ثورة الشيخ المقراني فيقول مفدي زكريا :

تقمص غاندي في عروق شبابنا و عفنا رغيف الذل من يد جوعان

نذرنا نصوم الدهر ، أو يطهر الحمى و ينصف التاريخ ثورة المقراني

و هذا في قول الشاعر واصفا المستعمر العاصب بالجوعان و إيثار الجهاد و رد الاعتبار لكل من أهين و أحسن بالذل بأي شكل من الأشكال و نجد أن ثورة المقراني دافعها الإهانة و جاءت في معلقة محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، نتيجة لظلم و استخفاف المستعمر بقبيلة الشيخ المقراني :

و مقراني أهين .....فصار حرب مما اكتوت الحواضر و الحزون

و ذكرت ثورة المقراني في الشاهدين بدلالة مختلفة الأولى لإنصاف ورد الاعتبار، و الثانية لافتخار و عدم القبول بالظلم .[2]

(1)سعاد غربي ، التناص الأنزيحاني في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس أنموذجا، ص 83،84 .

(2)نفسه، ص 84،85.

نلحظ التناص مع الشعر، و هو يأتي به لتفجير لغته الشعرية و تجزيلها ، و الرقي بها إلى مستوى الشعراء الكبار. ثم إن ذلك أثر طبيعي من محفوظة الغزير من النصوص يطفح على لغته الشعرية فيرقى بها إلى الدرجة الأولى من مستوى الأسلبة. [1]

نستخلص من دراسة الجوانب الفنية لشعر مفدي زكريا أنها دراسة غنية بكل معنى الكلمة، فهو يعد من الشعراء الجزائريين الذين يتميزون بالتنوع و الثراء .

نلحظ في شعره إبداعاً باهراً تبين غزارة ثقافته وسعت أفقه في معظم الأغراض التي تطرق إليها في شعره من حيث اللغة أنها لغة قوية و شديدة و هذا لطبيعة شعره الثوري ، و كذلك أسلوبه المتين المتماسك و براعته في تخيير الألفاظ و حسن تركيبها ، و نسبح الخيال ليكون متوافقا مع تصوير الأحداث و رسم الصورة لأبعد الحدود مع تناغم موسيقى رنان بين الحماس و روح الثورة .

استطاع مفدي زكريا أن يحسن استغلال هذه الأغراض و الأدوات أحسن استغلال ، حيث أنه يعرض موضوعه بالدقة و أحكام في استعراضه للمشاهد الثورية ، و قد حاولنا بقدر المستطاع أن نبرز أهم المميزات ، و أن نشمل جميع النقاط، فشعره بحر واسع للدراسة ، كلما أبحرنا فيه وجدنا أكثر.

(1)عبد المالك مرتاض ،أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ص 463.

الخاتمـــــــة

يمكن إجمال أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة لصورة الشخصية الفرنسية في شعر مفدي زكريا، على النحو التالي :

1) تناول مفدي زكريا في شعره ما يخدم فكرته و يعالج واقعه المرير ، ويلبي طموحاته

2) فكان موضوعه الأساسي الوطن الذي يجب المحافظة عليه بأي ثمن ، من أجل تحقيق النصر و الاستقلال و استرجاع الحرية ومجد الوطن .

3) عاش مفدي زكريا هذا الواقع الاستعماري الذي سلبه أرضه ونهب خيراته ، فما كان منه إلا أن يرفض هذا الواقع فدعا إلى مقاومته ، فتعددت أشكالها : سياسي ، جسدي وشعري .

4) التغني بالتاريخ وبطولات الثورة و أمجادها ، والدفاع عن القضية الجزائرية في شتى المحافل الدولية .

5) كان شعره الثوري و دواوينه عبارة عن تأريخ للثورة ومرجعاً أساسياً في الأدب والتاريخ الجزائري .

6) انعكس الاستعمار الفرنسي وأساليبه بصورة خاصة و مكثفة ، لإبراز صفات المغتصب ليكون عاملاً لثوران عليه .

7) تعددت أفكاره من تمجيد وتخليد للثورة ، إلى رفض و مواجهة المحتل الغاصب .

8) ينطلق مفدي في رسم صورة المستعمر من تجربة شخصية ، خاصة القصائد التي نظمها في السجن أين تعرض لكل أنواع التعذيب .

9) وصَفَ مفدي زكريا المستعمر الفرنسي بأوصاف عدة تنم عن ما يكنه له من كره و عداوة ، بسبب أعماله الإجرامية .

10) تجسيد الاحتلال في شعره من خلال الصوّر الحسّية و المعنوية و الدينية لإبراز بشاعة الاستعمار .

11) صوّر مفدي زكريا فضائح المستعمر الفرنسي الدموية بحقوق الإنسان ، كما صوّر المشاهد الإجرامية المرتكبة في حق الشعب بكل فئاته تصويراً دقيقاً ، ينقل من خلاله الواقع بكل وحشية .

12) رفض مفدي كل أشكال و أساليب التدمير ، وعمل على مقاومتها بشتى الطرق والوسائل .

13) أورد مفدي الشخصيات الفرنسية ، وصوّر أعمالهم الوحشية و أساليبهم في الإستلاء على الجزائر .

14) نلحظ أهم السمات التي تميز بها شعره وهي الصدق الشعري ، وصدق التجربة الواقعية التي مرّ بها من تعذيب ومعاناة ، وكذا محنة الضعب الجزائري ككل في ظل الاحتلال الفرنسي .

15) نلحظ في قصائده بناءاً متراصاً و متماسكاً في أجزاءه ، بدءاً من الحروف إلى الشطر والبيت ، في سياق موحد وعاطفة نابعة من قلب التجربة

16) يرتكز على اللفظ القوي و العبارات ذات جرس رنان يترك أثراً في النفس ، والكلمة الثورية التي تحفز على الجهاد وتحض على الدفاع عن الوطن .

17) عدم إهتمامه بإيصال الفكرة فقط للقارئ و إنما تعدى ذلك بلغته الشعرية إلى معايشة القارئ هواجسه و أحاسيسه ليبث فيه حماسة الثورة و رسم تلك الأجواء بكل جوانبها حتى يكون الشاعر ملماً بالتصوير الدقيق للمواقع المعاش آنذاك .

18) فقد انتقى ألفظ أسلوبه لتكون موحية ومعبرة ، تتماشى مع الحدث بعيدة الصدى عن الأذن والنفس ولم تمنعها الدقة من ذلك .

19) نلحظ اعتماده على الأسلوب الواضح والمتين .

20) نقف عند الموسيقى الشعرية عنده فنلحظ التنويع في القافية من حين إلى آخر ، فهي تبرز الانفعالات و الاضطراب التي تنعكس من عالمه الباطني لما فيه من معاناة و مأساة التجربة النضالية .

21) تحدث إيقاعات شعره تناغماً و انسجاما لتترك أثراً نفسياً لدى القارئ و تبث فيه الحماسة .

22) مفدي زكريا يعتبر رائع في رسم الصورة الشعرية الحية المؤثرة ، فهو من خلالها يصور لنا مشهداً يتميز بالدقة و الإحكام .

23) دقيق جداً في تشبيهاته و الصّور البلاغية، حيث يقرب المشاهد لتكاد تكون حقيقية أمامك .

24) استطاع الشاعر إخراج صورة فنية بديعية من خلال نبض الحياة في الطبيعة و إبراز جمال هذا الوطن.

25) قوة الدلالة اللغوية و الإيحاء وجمال التصوير و جموح الخيال .

26) الاقتباسات القرآنية دلالة على تشبع الشاعر بالثقافة الإسلامية وحافظ للقرآنية الكريم ، وهذا انعكاس ما تلقاه من دراسة في جامع الزيتونة ومدارس قرآنية .

27) استعماله الكثير للتناص من القرآن الكريم ، أومن الشعر سواء كان من الشعر العربي القديم أو من الحديث ، وتوظيفه للتناص التاريخي ، مما يدل على خصب دراسته وتطلعه ، وغزارة ثقافته ، و إلمامه بالأدب .

ونهاية هذه الخاتمة لا يسعنا إلا أن نطلب التوفيق من الله سبحانه وتعالى و أن يكون هذا العمل المتواضع في المستوى ، وان يكون نقطة من نقاط مستقيم العلم الذي لا يمكننا وان اجتهدنا أن نحدد موقعها والأكيد أنها ليست في أوله ولا في أخره ولكن الذي نعرفه ومتأكدين منه أنها ليست نهايته لأنه – مستقيم العلم – كثير الالتواء طويل المسارات واسع الممرات عميق الدهاليز .

الملحـــــــق

1-نبذة عن حياة مفدي زكريا

أ-مولده و نشأته: إسمه الحقيقي زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج صالح سليمان و ينحدر من أسرة أل الشيخ الأمازيغية الأصل التي تعود جذورها إلى بنو رستم مؤسسي الدولة الرستمية بتهرت في القرن الثاني الهجرى [1] وقد كان جده أحد شيوخ مدينة بني يزقن، يترأس الإتحاد الميزابي، ففي حضن هذه العائلة الماجدة ولد زكريا، حيث اشتهر بإسمه المعروف مفدي زكريا [2]، وهناك أسماء مستعارة لمفدي "الفتى الوطني، أبو فراس الحمداني، ابن تومرت" غير أن إسمه الحقيقي هو الشيخ زكريا بن سليمان، ولقبه أحد زملاء البعثة الميزابية التعليمية فأصبح يعرف بمفدي زكريا، لقد ولد يوم 12 جوان 1908م الموافق ليوم الجمعة 12 جمادى الأول 1326م ببلدية بني يزقن بمنطقة بني ميزاب أو ما يعرف حاليا ولاية غرداية [3] وفي مسقط رأسه بدأ خطواته التعليمية الأولى، وأدخله والده الكتاب، حيث حفظظ جزءا من القرأن الكريم ومبادئ اللغة العربية و الفقه، ثم إنتقل إلى مدينة عنابة بمساعدة والده و تجارته و لمواصلةة تعليمه، وفي سنة 1922م توجه إلى تونس ضمن البعثة التعليمية المزابية، ليتابع دراسته في كل من مدرسة لسلام القرأنية مدة سنتين، نال خلالها شهادة لإبتدائية في الغة العربية، ومبادئ في اللغة الفرنسيةن ثم إنتقل إلى الخلدونية، حيث درس موا علمية كالحساب و الجبر و الهندسة و الجغرافيا.[4]

حيث يقول مفددي زكريا عن نشأته: ترعرعت في واحةة بني ميزاب بقرية بني يزقن، بين جيرة كريمة قد استحوذت على منصة الإجلال والإحترام بين قلوب العقلاء قديما و حديثثا، فأدخلني والدي المكتب لتعليم كتاب الله و شيئا من القوانين الفقهية التي يستفي جهلها إن كببت بجد و إخلاص عليها، وفي السابعة من عمري ذهبت إلى عنابة مركز تجارة والدي حفظه اله ولم أزل مترددا بينها وبين مسقط رأسي حتى أذن الله لشعب الميزابي الرزين أن يولج أبواب الحياة الجديدة، وكنت من أفراد البعثة العلمية التي قصدت

---

(1) أسيا تميم، الشخصيات الجزائرية100 ششخصيةن، دار المسك للشعر و التوزيع، الجزائر، 2008م، ص157.
(2) الطاهر بلجيان تاملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص38.
(3) بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكريا شاعرر مجد الثورة، ص13.
(4) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر نظال و الثورة، منشورات جمعية التراث "العطف" غرداية، الجزائر، ط 2، ص1989م، ص8،9.

إلى تونس سنة 1922م[1] في فترة تحوله إلى جامعة الزيتونة، إنكب على الدرس و التحصيل و المطالعة المستمرة و حضور مسامرات الأديب التونسي "العري الكيادي"، و إرتبط بصداقة حميمية متينة، مع الشاعر الجزائري "رمضان حمود" و كذلك مع الشاعر التونسي المعروف "ابي قاسم الشابي"، ونظرا لذكائه ونجابته و شاعريته و لطف إحساسه أأطلق عليه أستاذه "الحطاب بوشناق"، لقب مفدي زكريا، اعجب زكريا بهذا الإسم لأنه وجد فيه ما يرضي طموحه الأدبي و الوطني، تعبيرا عن ذلك جاء في مطلع نشيد حزب الشعب "فداء الجزائر روحي ومالي"، وفي قوله سنة 1935م "وطني بروحي أفتديك و مجتي ودمي الشريف مبره ووفاء" [2] وفي سنة 1997 م نظم مفدي زكرا نشيد الشهداء "اعصفي الريا" من داخل السجن الإستعماري، ولم يطل غيابه طويلا ليعود إليه.

فأصبح مفدي زكريا يكتب الشعر معتمدا على مواهبه وميوله وجده و إجتهاده في هذا الصدد يقول: و أما الشعر فأنا فيه أستاذ نفسي، غير أني أعرض بضاعتي على أستاذتي رؤساء البعثة الميزابية ولقد قرأت الزحافات و العلل و الدوائر، ولي إطلاع شخصي على العروض و الموازين ولقد شغفت حبا بالأدب طفلا وبتاريخ الأبطال من عظماء الاوطان[3].

فسنوات الدراسية الخمسة التي قضاها في تونس هي التي كونته هذا التكوين الأصيل ووجهت حياته هذا التوجيه الأدبي و السياسي. [4]

وفي أواخر سنة 1926م إستدعاه والده ليتزوج وهو لم يتجاوز سن الثامن عشر من عمره، ويبدو من مجريات حياته أنه إنقطع فترة عن الدراسة، بل لعل دراسته لم تنظم بعد ذلك، إذ يدل إنتاجه الشعري الذي نشره في السنوات 1927م و 1930م، في جريدتي "الشهاب" و "واد مزاب" أنه كان متواجدا بالجزائر[5].

---

(1) محمد الهادي الزهري السنوس، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، الجزائر،ط1، 2007م، ص255.
(2) بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكريا شاعر مجد الثورة، ص14،15.
(3) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، ص71.
(4) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص30.
(5) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص9،11.

ولقد عمل اجيرا في محلات تجارية بقسنطينة و الجزائر...ثم فتح محل خاص به لبيع الأقمشة بالجزائر[1].

ب-عوامل نبوغه:

هناك عدة عوامل ساعدت في تكوين شاعرنا من الناحية الأدبية و السياسية و الثقافية، ويمكن إختصارها في ثلاثة عوامل مهمة وهي كالتالي:

العامل الأول:

موجو البعثة، فإن النشأة العربية الإسلامية الأصلية التي نشأها، قد تركت في نفسه أبعد الأثار، ورسخت في أعماقه حب الإسلام و العربية و الوطن، وكره من يحاول المس بهذه المقدسات أيا كان، لاسيما وأن لأولئك المشايخ، كانوا يقدمون النموذج العلمي لتلامذتهم، فقد كانوا جميعهم أعضاء مناضلين منخرطين في صفوف الحزب الحر الدستوري، تحت رعاية وزعامة الشيخ الثعالبي وكانت أعماله تدور حول ترسيخ معاني الإعتزاز بالدين و الشخصية الإسلامية و العمل على تحرير الوطن من أعدائه وحث هذا الأثر الذي تركته تلك الأجواء في نفسه على التمسك بالمقومات الوطنية الدين و اللغة وحب الجهاد في سبيل الوطن، وفي هذا قول:"درست على هؤلاء درسا دينية و اخرى في الوطنية و التضحية في سبيل الوطن العزيز و الامة المجيدة"[2]

العامل الثاني:

هو عهه الشيخ صالح بن يحي و الزعيم الثعالبي، أما عمه فهو يعد من أحد الأقطاب الذين أسسوا الزب الحر الدستوري التونسي و غزوا الحرب الطرابلسية بالأموال المتجمعة من تونس و الجزائر خاصة، وإعتقد الشيخ صالح و الثعالبي بسبب نشاطهما الوطني، وهكذا نشأ زكريا في بيت عمه نشأة وطنية منذ نعومة أظافره، وتلقى مبادئها على يد الزعيم الثعالبي الذي كان لا يفارق بيتهم حتى أن مفدي ظل يحفظ تجيهاته و مبادئه وكان يرددها في مناسبات عديدة. [3]

العامل الثالث:

---

(1) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص71.
(2) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص9.
(3) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص30.

هو هذا الجو الوطني الحار "الذي كانت تعيشه تونس في العشرينات ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى فقد عرفت هذه الفترة بطابع المباهجة بين القوى الوطنية و سلطات الإستعمار، وإغتخذت مظهر االمظاهرات و الإضطرابات و الكتابات لصحفية الحارة مطالبة بالحقوق أو تنديدا بالعسف و الظلم"[1]

ج-كفاحه:

كان من أثر المناخ الثقافي الذي تنفس فيه مفدي زكريا أثناء مقامه بتونس، خلال العقد الثاني من القرن العشرين، و الروح القومية التي كانت سائدة في العالم العربي في تلك الفترة، وتمثلت فيي المقالات الصحفية، والإجتماعات التي عقدت للتوعية بضررة العمل على الخلاص عن الإستعمار أن خاض شاعرنا غمار الحركة السياسية الناشئة [2] فكواكب الحركة الوطنة بشعره و نضاله، فعلى مستوى المغرب العربي، إنخرط في الشبيبة الدستورية في فترة دراسته بتونس، وأعتقل لمدة نصف شهر، كما شارك مشاركة فعالة في مؤتمرات طلبة أفريقيا[3]

اين وجد مجالا خصبا لأرائه السياسية من خلال خطبه، وقصائد و مناقشاته، فكان يدعوا بحرارة إلى توثيق عرى التوحيد بين شعوب المغرب العربي، ويهيب بشبابه أن يعمل متحدا لتحرير كل أقطار المغرب العربي من العدو المشترك، فكانت قصائده التي يلقيها في هاته الملتقيات تكريسا مكثفا لإيصال هاته الأفكار وشحنا عاطفيا قويا، للتحسيس من هذا المصير المشترك. [4]

أما على مستوى الحركة من أبرز قاددة حزب الشعب[5] وجريدة الشعب نفسها كانت تحت إشراقه، يقوم هو بإختيار المادة التي تنشر في الجريدة، ولعل ذلك سبب دخوله السجن سبعة وثلاثين تسمئة وألف ميلادي، وبالتحديد يوم أربعة عشرة جويلية، وهو نفس التاريخ الذي زج فيه برئيس الحركة "مصالي الحاج، وقد طال به المام حيث يفي سجينا إلى أوت تسع وثلاثين تسعمئة و الف ميلادي [6]، ولكن شعلة نضاله ظلت متوجهة حتى وهو في

---

(1) المرجع السابق، ص10،11.
(2) المرجع السابق، ص29.
(3) مصطفى بن الحاج حمودة، مقدمة أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مؤسسة مفدي زكريا، الوكالة الوطنية للإتصال و النشر، الجزائر، 2003،ص1.
(4) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص14.
(5) نفسه، ص16.
(6) الطاهر بلحيا، تأملات في إلياذة الجزائر، ص44.

السجن، فكان يكتب المقالات السياسية و القصائد الثورية، ويرسل بها خفية لتنشر بالصحف التونسية.

وبعد إندلاع الحرب العالمية الثانية أفرج عنه، ولكنه كان لا يخرج من السجن إلا ليعود إليه مرة اخرى، إذا ما لبث أن عاد إلى المشاركة في تحرير جريدتين وطنيتين سريتين "الوطن" "الحركة الوطنية" و أعتقل مرة أخرى سنة أربعين تسعمئة و ألف ميلادي بتهمة المس بأمن الدولة الخارجي وحكم عليه بالسجن مدة ستة أشهر، وبعد حوادث ماي خمسة و أربعين تسعمئة و ألف ميلادي، وفي حملة الإعتقالات التي شملت الوطنيين، زج به في السجن لمدة ثلاثة أشهر وعندما تأسست حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، إنضم إلى صفوفها، وما لبث في سنة تسع و اربعين تسعمئة و ألف ميلادي، أن دخل السجن مرة أخرى لمدة شهرين، ليعود إليه من جديد سنة واحد وخمسين تسعمئة و ألف لمدة ستة أشهر[1].

وغداة إندلاع الثورة التحريرية الكبرى إنخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالعاصمة، و ألقى عليه وعلى زملائه المشكلين لهذه الخلية القبض فأودع السجن بعد محاكمته، فبقي لمدة ثلاث سنوات من التاسع عشر أفريل سنة ستة و خمسين تسعمئة و ألف ميلادي إلى الأول من فيفري سنة تسع و خمسين تسعمئة و ألف ميلادي.[2]

بعد الإستقلال عاد إلى وطنه و إستقر بالعاصمة، حيث فتح مكتبا للخدمات الإدارية ويبدو أن الاوضاع السياسية و الإجماعية و الإقتصادية لم تسعفه حتى سنة تسع و ستين تسعمئة و الف ميلادي، والحق أن تونس بصحافتها و نواديها، وأدبائها، و مسؤوليها، قد قدمت لمفدي زكريا في جمييع مراحل حياته النضالية و الثورية، مالم يجده في غيرها تقديرا وإجلالا و تكريما.

وفي سنة تسع وستين تسعمئة و الف ميلادي، غادر تونس ليستقر بالدار البيضاء بالمغرب، حيث إستفاد من رخصة لفتح مدرسة ثانوية للتعليم وشاحنة لنقل البضائع ليسدبها تكاليف الحياة المادية، وتردد كثيرا بين أقطار المغرب العربي مشاركا في

(1) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص17،18.
(2) مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مقدمة أمجادنا تتكلم و قصائد أخرى، ص2.

تظاهراته الثقافية و السياسية، وظل زكريا وفيا لعقيدته الوحداوية بين اقطار المغرب العربي إلى اخر يوم من حياته[1].

د- وفاته:

ظل يجمع كما دأب على ذلك طول حياته،، بين أعماله التجارية و الإدارية و إبداعاته الأدبية، ومن موقعه خارج الجزائر كان حنيه دائما إليها، عاملا لها، حتى لقي الله تونس بغتة- بسكتة قلبية- يوم السابع عشر من اوت سنة سبعة و سبعين تسعمئة و ألف ميلادي، بعد أن أدى فريضة الحج هوو زوجته، وقدد طلبت كل من الحكومتين التونسية و المغربية ان تتولى دفن جثته على أرضها، إلا أن الحكومة الجزائرية أيت ذلك، وجعلت الأرض التي أجمعها و دافع عنها بكل قواه تحتضنه، في مسقط رأسه، (بني يزقن) بغرداية.

ترك مفدي إبنا إسمه صلاح سليمان، وعائشة إستقلال، صالحة فداء[2]

هـ-أثاره الأدبية:

يقف مفدي زكريا في موقع الصدارة من شعراء الجزائر من حيث وفرة الإنتاج وجودته، فعلى الرغم من إنشغاله واصل مسيرته دو إنقطاع طوال حياته. [3]

فمفدي زكريا لم يبدع عن شعره الفصيح، وإلى جانب الشعر تنوعت إهتماماته الأدبية الفكرية، فكتب المقال بمختلف أشكاله وكتب التمثيلية و الرواية و القصة وترك العديد من المحاضرات... [4]

مفدي زكريا حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عامل المملكة المغربية "محمد الخامس" بتاريخ واحد و عشرون أفريل سنة 1961م، ووسام الإستقلال، ووسام الإستحقاق الثقافي، من رئيس الجمهورية التونسية "الحبيب بورقيبة"، ووسام المقاوم من رئيس الجمهورية الجزائرية "الشاذلي بن جديد" بتاريخ 25 أكتوبر 1984م، وشهادة تقديرها على أعماله ومؤلفاته وجهوده المعتبرة ونضاله في خدمة الثقافة الوطنية من رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد بتاريخ 8جويلية1987م ووسام الأثير من مصفئ

---

(1) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر نضال و الثورة، ص21،22.
(2) حواس بري، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقديم، ص53.
(3) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص 37.
(4) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص22.

الإستحقاق الوطني من رئيس الجمهورية السيد "عبد العزيز بوتفليقة" بتاريخ 4 جويلية 1999م [1].

وقد تجل إعتراف الدولة بمكانة مفدي زكريا ودوره في الحركة الوطنية في عقد مهرجان ثقافي سنوي بإسم الشاعر في العاصمة الجزائرية بدأ سنة 1985م، ويذكر في مقابلة له مع الصحفي الأديب بلقاسم بن عبد الله في جويلية 1972م، بأن له من الأثار الأدبية مايلي:

-تاريخ الأدب العربي عبر القرون

-تاريخ الصحافة الجزائرية

-تاريخ الفلكلور الجزائري

-أضواء على وادي ميزاب (دراسة تاريخية)

-نحو مجتمع أفضل

-سبع سنوات في سجون فرنسا

-حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير

-قاموس المغرب العربي الكبير.

-العادات و التقاليد في المغرب الموحد.

-الثورة الكبرى (أوبريت).

-في العيد (رواية)

-عوائق إنبعاث القصة العربية.

-مئة يوم ويوم في المشرق العربي.

-الجزائريين الماضي و الحاضر.

-مذكراتي.

-الصراع بين الشعر الأصيل و الشعر الدخيل[2]

هذه أثاره النثرية التي لحد الأن لم نطلع على أي عمل منها أما دواوينه الشعرية فهي كالأتي:

-أمازيج الزحف المقدس (أغاني الشعبي الجزائري الثائر).

---

(1) مصطفى بن الحاج بكير حموده، مقدمة أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص3.

(2) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص22،23.

-إنطلاقه (ديوان المعركة السياسية في الجزائر) من 1935 إلى 1954م.
-الخافق المعذب (إنتاج الشاعر في حياه). [1]
هذا عن دواوينه المخطوطة أما المطبوعة فهي:
-"اللهب المقدس": عن المكتب التجاري بيروت سنة واحد وستين تسعمئة و ألف ميلادي.
ويعد ديوان اللهب المقدس أهم و أشهر دواوينه بإعتباره ديوان ثورة التحرير الجزائرية، وهو يحظى بمكانة خاصة في الشعر الجزائري الحديث، ويضم أربعة وخمسين قصيدة منها ستة قصائد بعنوان "من أعماق بربروس"، وعشرة قصائد بعنوان "تسابيح الخلود" وتسع وعشرون بعنوان "نار ونور"، وثلاثة قصائد بعنوان "تنبؤات شاعر، وست قصائد بعنوان "فلسطين على الصليب"، وتعد قصيدته الأولى "الذبيح الصاعد" رائعة الديوان ودرته ويقول مفدي: أنه نظم هذه القصيدة بسجن بربروس في الهزيج الثاني من الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد نفذ فيه الحكم بالمقصلة وهو "أحمد زبانا" و ذلك ليلة ثامن عشرة من يوليو سنة خمسة و خمسين تسعمئة و ألف ميلادي. [2]
-"تحت ظلال الزيتون": نظمه الشاعر لتونس الخضراء، طبع مرة واحدة سنة خمسة وستين تسعمئة و ألف ميلادي [3] للفكر الإسلامي بالجزائر العاصمة بمناسبة العيد العاشر لإسترجاع الإستقلال و الذكرى الألفية لتأسيس العاصمة بطلب من "مولود قاسم"، يوم أربع وعشرون جويلية سنة إثنين و سبعين تسعمئة و ألف ميلادي، أمام حشد كبير منهم الرئيس "هواري بومدين" و بلغت عدد أبياتها ألف بيت و بيت.
وقد قسم مفدي زكريا هذه الملحمة إلى جزئين، يتضمن أولهما وصف الجمال الطبيعي للبلاد ويتضمن الثاني تصوير المجد التاريخي، فكانت شهادة جديدة للتاريخ الجزائري بما يتخلله من إنتصارات و إنتكاسات و أمال و ألام. [4]
-"من وحي الأطلس": خصه الشاعر لثورة في المغرب الأقصى، طبع مرة واحدة سنة ستة وسبعين تسعمئة و ألف ميلادي. [5]

---

(1) مصطفى بن الحاج بكير حموده، مقدمة أمجادنا تتكلم و قصائد أخرى، ص4.
(2) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص37،39.
(3) حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص54.
(4) حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص56.
(5) حواس بري، شعر مفدي زكريا –درسة و تقويم ص54.

-"أمجادنا تتكلم": طبع وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، سنة ثلاثة و سبعين وتسعمئة و الف ميلادي. [1]

فمفدي زكريا صوت مميز وشاعر متفرد له ما يميزه عن بقية الشعراء ليس في الجزائر وحسب، و إنما في الوطن العربي بوصفه شاعر القضايا الوطنية و القومية، و إن أصالته هي التي رشحته ليكون شاعر مزاوجا بين الإلزام الفكري و الإلزام الفني[2]

ولكن إلتزامه أو لنقل كلاسيكية هذه جديدة متميزة، إذ ينحو فيها إلى الرومانسية فيوظف مفردات الطبيعة، كما يصور خلجات النفس الشاعرة، [3] غير أن رومانسية مثل غيره من الوطنيين، إنها تألم شاعر من مأساة شعب، وبكاء فرد من شقاء مجموعة، ومن ثم فهي لا تتصف بالهروب ولا الأنانية، و إنما هي رومانسية وطنية، يمكن وصفها بأنها إتجاه فني نابع من واقع معاش. [4]

إن ميلاد "مفدي زكريا" كان له أثر بارز في توجيه حياة الأدبية و السياسية، ذلك أنه ولد في احلك فترة عاشتها الجزائر، وهو ما دعاه إلى رفض هاته الظروف ومقاومتها، وكان إلتحاقه بالمدرسة القرأنية وجامع الزيتونة إنعكاسا واضحا على أدبه و شعره، كما للسجن الحظ الوفير فمعظم قصائده والتي كانت نابعة من تجربة صادقة، ونرى أثاره الأدبية أنها متميزة عن باقي الشعراء الذين عاصروه أنذاك فهي تتميز بجملة من الخصائص التي أعطت لشعره مكانة في الأدب الجزائري.

ولكن مفدي زكريا لم يحظى بمكانة هامة ومرموقة في الجزائر، لم تليق بشاعر الثورة الذي كافح بدمه وحياته من أجل أن يعيش شعبه بحرية و إستقلالية.

---

(1) محمد الأخضر السائحي، روحي لكم-تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص96.

(2)حواس بري، شعر مفدي زكريا –درسة و تقويم ص414،415.

(3)حسن فتح الباب، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، ص34.

(4) نفس المرجع، ص35.

قائمـة المراجـع والمصـادر

***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

❖ **المصادر:**

1) - مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط1.

2) – مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987، ط 1.

❖ **المراجع:**

3) – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي مرحلة الثورة 1954-1962 ، نشورات المركز الوطني .

4) – أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، ط5 ، 2007.

5) – الطاهر بلحيا ، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989.

6) – آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية ، دار المسك للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2008 .

7) – بلقاسم بن عبد الله ، مفدي زكريا شاعر مجد الثورة ، دار الأوطان ، الجزائر ، 2013 .

8) – حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر 2010 .

9) -حواس بري ، شعر مفدي زكريا – دراسة وتقويم - ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 .

10)– عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 ، دار هومه، الجزائر ، 2009 .

10) – عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 .

11) – عمر أحمد بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر – الشعر و سياق المتغير الحضاري - ، دار الهدى ، الجزائر .

12) – محمد ناصر ، مفدي زكريا شاعر نضال و الثورة ، منشورات جمعية التراث "العطف " ، غرداية ، الجزائر ، ط 2 ، 1989 .

13) محمد الهادي الزهري السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 .

14) – محمد الأخضر السائحي ، روحي لكم – تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .

15) – محفوظ كحوال ، أروع قصائد مفدي زكريا ، نوميديا للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2012 .

16) - مصطفى طلاس ، بسام العسلي ، الثورة الجزائرية ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 .

❖ **المقلات و الملتقيات :**

17) - جغدم الحاج ، جمالية الصورة في شعر مفدي زكريا قصيدة الذبيح الصاعد أنموذجا ، جامعة الشلف .

18) – خميس رضا ، خصائص الإيقاع التركيبي في الشعر الجزائري الحديث ، جامعة ، أحمد بن بلة ، وهران .

19) – سي مرابط علي ، البنى الأسلوبية في قصيدة الثورة الجزائرية للشاعر مفدي زكريا جامعة ابن خلدون ، وهران .

20) عيسى العزري ، البنى الأسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكريا ، جامعة الشلف ، الجزائر .

21) – زكية يحياوي ، نشيد السجن و الثورة عند مفدي زكريا ، ملتقى الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة ، مخبر الدراسات اللغوية في الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2013.

❖ **المذكـــــــرات :**

22) – خيرة خرفي ، حجاجية التكرار في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير ، إشراف عبد الحليم بن عيسى ، جامعة وهران ، 2014-2015.

23) – سعاد غربي ، التناص الإنزياحي في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس أنموذجا ، مذكرة تخرج لنيل الليسانس ، إشراف ثورية برجوح ، تخصص لغة عربية ، جامعة الوادي ، 2010-2011.

24) – صباح باي ، التناص في شعر مفدي زكريا الإلياذة أنموذجا ، شهادة مكملة لنيل الماستر ، إشراف حكيم سليماني ، تخصص أدب جزائري ، جامعة بوضياف مسيلة ، 2014-2015.

❖ **المجـــــــلات :**

25) – أحمد قسطاس ، مجلة دعوة الحق ، مطبعة الأمنية ، المغرب ، 2013.

26) – بعلي حنفاوي ، صورة فرنسا الاستعمار في إلياذة الجزائر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، 2005.

27) - قويدر مختار ، مجلة لغة الكلام ، الطفل الجزائري وصورته المأساوية في شعر القنبلة الذرية الفرنسية وتفجيرها بصحراء الجزائر ، جامعة معسكر ، 2016.

28) – مسعودي رمضان ، مجلة الذاكرة ، اللغة الشعرية في معمار الشعر التقليدي والشعر الوجداني ، تصدر عن مخبر التراث اللغوي و الأدبي ، العدد 8 ، 2017.

29) – مصطفى حمودة ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المقاومة في أدب مفدي زكريا ، العدد 17 ، جامعة غرداية ، 2012.

❖ **الـــــــدواويـــــــن:**

30) – مصطفى بن الحاج حمودة ، أمجادنا تتكلم و قصائد أخرى ، مؤسسة مفدي زكريا الوكالة الوطنية للإتصال و النشر ، الجزائر ، 2003.

❖ **مواقـــــع الانترنـــيت :**

31) – منتدى التاريخ الجزائري ، فظائع الاستعمار الفرنسي في الجزائر و عزيمة التحرر

الفهـــــــرس

الفهـــــرس

العنوان	الصفحة
شكر وعرفـان	
مقدمة	أ
تمهيد	5
الفصل الأول: تجليات صورة ا لشخصية ا لفرنسية في شعر مفدي زكريا	12
1- الصورة الحسية	15
2-الصورة المعنوية	20
3- الصورة الدينية	28
الفصل الثاني: ا لخصائص ا لفنية لشعر مفدي زكريا	34
1- اللغة الشعرية	35
2- الموسيقى	42
أ- الموسيقى الخارجية	42
ب- الموسيقى الداخلية	46
1-الترصيع	47
2- تكرار الصيغة	48
3- إيقاع المتخالف	49
3-1- المقابلة	49
3-2- الإيقاع البصري	50
3- الصورة الشعرية	52
أ- التشبيه التمثيلي	52

ب- الاستعارة المكنية 53

ج- الطبيعة 54

د- القرآن الكريم 57

4- التناص 59

أ- التناص الديني القرآني 59

ب- التناص مع الشعر العربي القديم 61

ج- التناص التاريخي 62

د- التناص مع الشعراء الجزائريين 63

الخاتمـــــــــــة 67

الملـــــــــــحق

قائمة المصادر والمراجع

الفهـــــرس